

ذيميتريس سوتاكيس

قيامه مايكل جاكسون

ترجمة: د. خالد رؤوف



ترجمت
أعمال الكاتب
إلى 8 لغات

رواية

ذيميتريس سوتاكيس

قيامة مايكل جاكسون

رعاية

ترجمها عن اليونانية: د. خالد رؤوف

سفا
SEFSafa PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSafa.NET

د.خالد رعوف / درس التاريخ والآثار والأدب المعاصر في جامعة أثينا، الدراما والمسرح في مدرسة المسرح القومي اليوناني، وحصل على دكتوراة في تاريخ الفن الكلاسيكي اليوناني الروماني جامعة شيكاغو. درس اللغة اليونانية في جامعة أثينا وحصل على دبلومة في الترجمة من نفس الجامعة وعلى دبلومة أخرى في الترجمة من الإتحاد الأمريكي الهليني. له ترجمات عن اللغة اليونانية منها " جيران العالم " مختارات شعرية - يانيس ريتسوس؛ "ألكسيس زوربا، سيرته وحياته" - نيكوس كازانزاكيس.

.....
قيامه مايكل جاكسون

طبعة 2022

رقم الإيداع: 2022/3579

التسجيل الدولي: 978-977-821-251-8

جميع الحقوق محفوظة ©

عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

No part of this book may be reproduced or utilized in any form or by means electronic or mechanical including photocopying recording or by any information storage and retrieval system without prior permission in writing of the publishers.

الناشر

محمد البعلي

إخراج هنّي

علاء النويهي

الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي دار صفصافة.

© This translation of Δημήτρης Σωτάκης, 2014" is published by arrangement with Ampri Margini Literary Agency and with the authorization of Dimitris Sotakis.

دوفا
SEFSafa PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSafa.NET
sefsafapr@gmail.com

دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات
49 شارع المخزن- العمرانية- الجيزة- مصر

بطاقة فهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية،
إدارة الشؤون الفنية

سوتاكيس، ذيميتريس
قيامه مايكل جاكسون، رواية / ذيميتريس سوتاكيس،
ترجمة: خالد رؤوف، الجيزة، دار صفصافة للنشر والتوزيع
والدراسات، ٢٠٢٢
١٩٦ ص، ٢٠ سم
تدمك ٨-٢٥١-٨٢١-٩٧٧-٩٧٨
١- القصص اليونانية
أ- رؤوف، خالد (مترجم)
ب- العنوان

٨٨٣

رقم الإيداع: ٢٠٢٢/٣٥٧٩

1

جاء

في الصيف الماضي زارني مطرب البوب العالمي مايكل جاكسون-الذي فارق الحياة في يونيو-2009 في منزلي الواقع في حي على مقربة من وسط المدينة. في تلك الليلة امتلاً جوفي بعقار الأميتريبتيلين المضاد للاكتئاب، الذي سبب لي بعض التقلصات المعوية التي بدأت من بدايات ذلك الأسبوع. قصة اكتتابي وإن كانت أشبه بشكل أكبر لمواجهة الماضي، كانت هي المحور الرئيس الذي تدور حوله حياتي في السنوات الأخيرة. في محاولة من طبيبي لإعادتي لحالتي الطبيعية، وأعيش كإنسان طبيعي مضاد للاكتئاب ثلاثي الحلقات وبالتحديد من عقار المابروتيلين، لكن مع الأسف لم أشعر بأي تحسن هام أو اختلاف حتى الآن.

أعمل في شركة للاستطلاعات. أكره عملي وهو ما يثبت أنه لم يتبق في عقلي الفقير سوى القليل من الخلايا. في الثامنة صباحاً حتى الظهيرة أرتب نتائج أبحاث الشركة وهو عمل أوتوماتيكي في منتهى الملل، لكنه يعطيني حرية نوعية أن أعيش بلا قلق بشكل عام. أريد من الآن ونحن ما زلنا في البداية أن أوضح أنه بشكل عام أنا على ما يرام، وأن المتحدث في هذه اللحظة لا يعاني من الشيزوفرينيا يتحدث بلا منطق فقط ليحظى باهتمام الآخرين. إن مرضي النفسي هو مرض حضري عصري. أريد أن أشرح لكم أن محاولات طبيبي في العلاج، وعموماً سوء الحظ

الذي أواجهه يجعلني في حالة توازن فيما يتعلق بالاكتئاب، فقد أمنت على الجانب الآخر العيش بمستوى معقول فيما يتعلق بالحياة اليومية. أعمل منذ ثلاث سنوات في الشركة التي ذكرتها سابقاً، أي منذ أن انتقلت إلى العاصمة واستأجرت هذا المنزل اللطيف بالقرب من محطة السكك الحديدية.

لكن بشكل رسمي أنا شخص يعاني من العديد من المشكلات النفسية - وهو الأمر الذي أؤكد عليه مع طبيبي - وهذه المشكلات تعود بالأساس إلى الظروف التي أعيشها ولا تدرج تحت عنوان الأمراض النفسية. أي إنني أعاني من اكتئاب شرطي، هذا بعدما استوعبت كل ما يدور حولنا. باختصار، إن حالة الاكتئاب التي أعاني منها ترجع إلى اقتناعي الراسخ بأن الحياة ليست مشوقة كما يقدمونها لنا، وكي أضيف رتوشي الشخصية، هي لا تحدث في الأصل، دعونا نتفق على هذا. من تجراً على الحديث عن مبدع كبير أو عن معجزة الكون؟ أنا لا أرى شيئاً مثيراً على الإطلاق... اتفقنا، إن انسجام الطبيعي يعد مدهشاً في حد ذاته، لكن لا يمكنني أن أعبر عن انبھاري بالأمر الأخرى وبخاصة لو ضربت مثلاً بنفسي.

لكن على كل أنا أعتبر نفسي محظوظاً فقد وجدت هذا المنزل في منطقة لطيفة في المدينة. ولو أن ضجيج السيارات يقطع أي نشاط يمكن أن يقوم به المرء في ذلك الوقت، لحسن الحظ فللمنزل فناء لطيف محاط بسيّاح حتى الباب الخشبي تضربه

الرياح بعنف في فصل الشتاء، وحتى الحديقة التي زرعوا فيها زهورًا كثيرة حول شجرة البلوط العجوز التي توجد هنا على ما يبدو منذ سنوات كثيرة. الحديقة مزهرة وجميلة مثل جيراني. لا يمكن أن أكون جاحدًا. أنا محاط بأناس رائعين مدركين تمامًا لرغبتني العميقة في العزلة ويحبونني ويريدون أن يعتنوا بي، وهو ما يحرمني مؤقتًا من سعادة تحقيق هدفي ورغبتني الدفينة في الحياة: الانتحار. أحد جيراني الأقرباء هو السيد "مين"، شخص بدين جدًا في الستين من عمره تقريبًا، أرمل منذ خمس سنوات، شخص ممل لكنه متفائل، بالرغم من ثقل وزنه وصعوبة حركته فهو ممتلئ بالسعادة والإلهام، لا ينتهي، وهو الأمر الذي يثير إعجابي دائمًا عندما يزورني في المساءات لنحتسي القهوة. السيد "مين" رغم أنه يصر أن يصف لكل الناس القصة الحزينة لزوجته الحبيبة حتى صار الأمر اعتياديًا ومملًا، إلا أنه شخص لطيف (هذا ما حدث: خرجت المرأة من المستشفى في كامل صحتها بعد عملية جراحية معقدة، هي والسيد مين عادا لحياتهما بشكل عادي حتى الأسبوع التالي فقط من خروجها من المستشفى، سقطت في حفرة مجارٍ نسي عمال المحافظة تغطيتها. منذ ذلك الحين والسيد مين في نزاعات قضائية مع السلطة المحلية يحرر لهم المحاضر كل يوم تقريبًا)، يهتم لأمرني كأب ودائمًا يحاول أن يقنعني أن أرى الحياة من وجهة نظر مختلفة وأغير آرائي وخططي المستقبلية. جاري العزيز الآخر هو السيد جو، شاب وصل للمدينة في خريف العام الماضي

للدراصة، واستأجر غرفة تقع بجوار منزلي بالضبط في منزل كبير له فناء أكبر من فنائي، وبه خمس غرف كبيرة ومستقلة، لكنها تبقى مغلقة حيث إن صاحب المنزل يعيش خارج البلاد ويستأجر غرفة واحدة للمسكين جو. ربما يكون جو هو صديقي الوحيد. شخص عادي، ممّا يعني أنه يمكن في أي وقت أن يطرق بابي ونذهب معاً لنحتسي البيرة أو يأتي إلى منزلي لنشاهد فيلمًا في التلفاز معًا. هو ولد مهذب يدعني أتكلم بالساعات عن حلمي بالانتحار، عندما يكون في مزاج جيد يقترح بعض السبل التي غالبًا ما تكون أقلّ ألمًا. يمكن أن أقول إنني لو كان لدي ميل للعب دور أكبر في هذا المجتمع الصغير كنت سأكون سعيدًا تقريبًا بما لدي: عملي المقرف، بيتي الحزين وجيراني المساكين.

كما ذكرت أعلاه، قد زارني مايكل جاكسون. في ذلك الصيف الحار الطويل كما هي أشهر الصيف. إلا أن في تلك الليلة في التاسع عشر من يوليو كانت باردة جدًا، كادت الرياح أن تكسر النافذة وقبل حلول منتصف الليل بقليل انهمر مطر غزير أصاب السكان بالشلل التام. أتذكر جيدًا ذلك المساء في ذلك اليوم حيث زارني السيد مين طالبًا مني أن أساعده في صياغة شكوى نحو سلطات الحي من أجل موضوع زوجته. جلسنا على الأريكة حتى انقلب الطقس فجأة وهكذا غادر السيد مين إلى بيته من أجل سلامته. تناولت عقاقيري وحاولت النوم مبكرًا -بطني كان يؤلمني- لكن دون أي نتيجة، لم أكن أشعر بالتعب، وبينما كنت أتابع نشرة الأخبار جلست على مقعد بجوار النافذة ورحت أنظر

للخارج. رياح شديدة شيطانية طمست صورة الحي وزخات المطر الشديد التي لم تتأخر في الانفجار فبددت انسجام المكان. في النهاية بقي منظر رمادي باهت وصارت الأجواء ثقيلة ورائحة المطر، اعتقد الجميع أن النوة قد مرت إذ إن الطقس صار معتدلاً وآمناً، لكن قبل منتصف الليل انفكت عقد ضوئية سماوية كما لو أن أكياساً عملاقة قد شقت من الغيوم، وصار الماء ينهمر منها على الأرض بعنف دون رحمة فوق السكان المساكين الذين كانوا في الشوارع غير مرتابين، ولا متوقعين أن يحدث شيء كهذا في ليلة صيفية خرجوا من بيوتهم ليستمتعوا بها. وكما لو أن المطر لم يكن كافياً، وهج البرق كان ينذر بليلة صعبة، بعد قليل توقفت أصوات القطارات التي ابتلعها صوت الهدير المخلص للطبيعة الهائجة، فلم يُسمع سوى صوت الرعد وأصوات العاصفة المدوية.

عندما بدأت أشعر في النعاس وقررت أن أستلقي قليلاً، سمعت صوت طرق على الباب. في البداية لم أكن متأكداً من مصدر الصوت؛ ظننت أن هذا الطرق كان لعبة أخرى من ألعاب المطر على السقف الخشبي للمنزل. وهكذا لم أعطِ أي اهتمام وأغلقت عيني. لكن بعد قليل صار صوت الطرق على الباب يسمع على فترات واكتسبت حدته إيقاعاً منتظماً وهكذا نهضت لأتأكد. كنت خائفاً جداً، أين أختبئ، فلا يزورني أحد أبداً في ذلك الوقت؛ زيارات السيد مين وجو تحدث في أوقات منتظمة أو.. على أية حال، وإن لم تكن بهذا الشكل، ولو لم يحافظوا على مواعيد الزيارات، فقد استبعدت بالغريزة احتمال أن يكون أحد منهما

هو الطارق. من ناحية سيفكر أحد؛ بما أن رغبتني جامحة لأن أترك هذا العالم، ففكرة هجوم شخص خطير علي لقتلي ستكون مغرية، لكن هذا لم يكن حقيقياً على الإطلاق، كنت أراه في نفسي كوميدياً تقريباً، فلو أقدمت على الانتحار ونجحت فيه سأفعل هذا بكرامتي. بالطبع كان من المنطقي أن أستنتج أن الأشرار لا يترقون الأبواب إلا لو كانوا يراوغون، بالطبع، لكن حتى هذه الأفكار لم تلحق أن تشغل عقلي طويلاً، إذ إنني وصلت شيئاً فشيئاً نحو الباب وفتحته بحذر، كي أستطيع أن أخلق مساحة ضيقة كي أرى من مكاني. كان مايكل جاكسون. تعرفت عليه على الفور. بدا تماماً كما أتذكره، وكما أعتقد يتذكره الجميع من صورته وفيديوهات المعروفة. أغرقه المطر تماماً. دون أن يتحدث، أو ما لي بأن أسمح له بالدخول. لم أكن متأكداً ماذا علي أن أفعل. نظرت إليه بريبة لبضع ثوانٍ حتى كسر الآخر الصمت.

- "هل ستدعني أمر؟ انظر إلى حالتي... سيتلف شعري...".

لم أرد، لكن ظننت أنه من الصواب ألا أتركه في الخارج في طقس كهذا.

- "تفضل...". قلت من بين أسناني تقريباً ثم فتحت الباب.

بقفزة رشيقة وبرضا واضح -لأنه نجا من المطر الغزير- صار في غرفة الجلوس.

- "انتظر حتى أحضر لك منشفة لتجفف. ستبلل البيت كله

بحالتك هذه!" قلت له، بينما أبحث عن منشفة كبيرة أعطيها
له عندما عدت إلى غرفة الجلوس. أخذها وعندما تجف جيداً
أعاديها لي وهو سعيد. "حسناً، غادر الآن!" قلت له بعصبية
واضحة، لكن الآخر ابتسم، وارتسم على وجهه تعبير يقول،
يبدو أنك قد جننت.

- "أين أذهب في هذا الطقس؟ لا بد أنك تمزح بالطبع" قال
بحزم وبصوت ثابت، ودون أن يستأذني جلس على أحد
المقاعد.

جلست أمامه بشيء من العصبية إذ إن هذه الزيارة أبقتني
ساهرًا وأفست علي نومتي. نظر إلي بلامبالاة، بمسحة من
التعاطف علني أقول، كما لو كان ينتظر مني شيئاً. فوجهت له
الحديث:

- "ألسنت أنت مايكل؟".

- "نعم، أنا مايكل"، أجب الإجابة المنتظرة وهو يعقد زارعيه
ويتفحص الصالون بدأب. كان يبدو هادئاً.

- "ألم تمت؟" سألته وأنا أعود بظهري على المقعد لأستريح في
جلستي.

لم يرد.

- "نعم، لقد مت، لا يمكن، لقد قرأت الخبر في الصحيفة، وقد

أذاع التلفاز الخبر مرارًا...".

لم يبدِ أي تفاعل مع الحوار، لم أدِنه، إذ إننا لم نكن نتحدث عن أمر جديد أو مثير.

- "هل لديك أي طعام؟" سأل وهو يضم شفتيه بقوة، فعل غير مبرر إلا أنه يؤكد على شعوره بالجوع.

نظرت إليه متفحصًا من أعلاه إلى أسفله. كان يرتدي بنطلونًا جلدًا وحذاء عاليًا وقميصًا أبيض باهتًا. كان يبدو عليه الإرهاق، لم يكن يبدو في أحسن حال، لكن التعب كان ظاهرًا بوضوح عليه. قمت وألقيت له له نظرة ودودة أعجبتة على ما يبدو؛ فابتسم.

- "انتظر، سأحضر لك الطعام... قم وأجلس على المائدة...".
قلت له وأشارت له نحوها في نهاية الغرفة.

اختفيت في المطبخ قليلًا ثم عدت ووضعت أمامه طبق لحم وخضروات. في البداية نظر إليه كما لو كان يبحث عن شيء بداخله، لكنه لم يتأخر ليمسك بالشوكة والسكين ويبدأ في الأكل. كان يأكل في صمت. جلست بجواره ورحت أنظر إليه من على مسافة أقرب. كان يشبه الطفل، لم أكن أتوقع أبدًا أنه لطيف لهذه الدرجة.

- "هل يعجبك؟". سألته عندما انتهى من نصف الطبق.

- "نعم، إنه جيد جدًا، شكرًا...". قال بنفس التواضع فهرعت

نحو المطبخ لأحضر له مشروبًا.

في الحقيقة كان يحتاج إلى الطعام؛ لأنه فور أن أكل بدا أكثر حيوية وكأنه استيقظ من سبات عميق. ذهبت أعد القهوة لفردين وعدت إلى غرفة الجلوس. غمرت رأسي آلاف الأسئلة لكن في النهاية سيطر علي الصمت كما لو ابتلعت لساني.

- " تفهم يا مايكل أنني أشعر باستغراب كبير من زيارتك هذه، أليس كذلك؟ ". قلت له فيما بعد.

- " لكن لماذا؟ ". سأل بصراحة ووضوح ونظرة مندهشة اعتلت وجهه.

قاطعت رشفته للقهوة.

- " كيف يمكن ألا تفهم؟ كيف؟ هل تعتبر ما يحدث طبيعيًا؟ ". غطيت وجهي بكفي. كان ينظر لي في عيني يحاول جاهدًا أن يدرك مشكلتي.

- " حسنًا، إن وجودك هنا هو شرف كبير، لكن، أريد أن أقول، إنه ربما... كان يجب ألا تكون هنا... تفهمني، أليس كذلك؟ ".

- " لكن لماذا؟ " استمر بنفس الدهشة والتساؤل الذي راح يكتسب براءة أكبر مع مرور الوقت.

- " قبل أي شيء، نحن لا نعرف بعضنا بعضًا. ما أقصده هو أنني أعرفك بالطبع، لكننا لسنا أصدقاء. لو لم تكن أنت...

أنت، لما كنت فتحت لك الباب... ثم إنك ميت. كما أنه، ليس هناك سبب لوجودك هنا. قل لي على الأقل إنك تفهمني، إنك تفهم ما أقوله، كي نستطيع أن نتفاهم".
- "أين سأنام؟".

كان هذا هو رد الفعل الوحيد لما قلته.

أدركت أن ليست هناك أرض ممهدة للحوار. ولكن، لم أستطع أن أغضب منه بأي شكل. أسلوبه، عيناه الواسعتان اللتان لا تشعان سوى الرقة، أقنعوني بأن أتوقف عن الحديث وأعد له نومته.

في البداية فكرت أن أعد له الأريكة، لكنه ضيفي، وهو ليس سوى مايكل جاكسون. وهكذا، وبما أنه ليس لدي فراش آخر، أعطيته فراشي وذهبت للنوم على الأريكة.

نمت نومًا هادئًا. كما رأيت حلمًا وديعًا، أنني أغوص في كتبان رملية مخروطية على جزيرة ميتافيزيقية ناعمة. كنت عاريًا وأصغر سنًا، وجسدي يتدحرج ويختفي في الرمال الرطبة الباردة. كانت تجري جداول بجواري تصب في البحر الذي لم يبدو واسعًا وخطيرًا لكن كان أشبه بمستوى مائي في مكان غريب. كنا قد وصلنا إلى هناك بقطار / سفينة تحركت من الميناء الكبير بدا في الحلم كأنه موقف تاكسي تتحرك منه القطارات / السفن وتغادر كل نصف ساعة تقريبًا نحو هذه الوجهة الفردوسية. إن كنت أتذكر جيدًا، لم تكن جزيرة بالضبط، لكن كانت جزيرة قرية،

أو شيئاً يشبه هذا؛ بقعة جغرافية مباركة حركت مشاعري بقوة حين كنت نائماً نسيت أن مايكل جاكسون في غرفتي، لكنه أول ما جاء في ذهني عندما استيقظت عند الساعة صباحاً تقريباً. كان الجو قد تحسن. ألقيت نظرة عابرة عبر النافذة، ظهرت الشمس من جديد في موقعها في السماء، عاصفة ليلة الأمس استغرقت وقتاً طويلاً. بخطوات مترددة وصلت إلى غرفتي وطرقت الباب برفق. كان مستيقظاً وفتح لي على الفور. "صباح الخير!" قال لي بمزاج رائع وبدا عليه الارتياح، بالطبع بعد ليلة الأمس العصبية. بدا شعره في وضع أفضل وابتسامته تزين وجهه، حتى ملابسه بدت أجمل عليه.

- "صباح الخير يا مايكل! تبدو لي على ما يرام!" قلت له ودعوته إلى المطبخ حيث كنت أعد الإفطار.

بعد أقل من ساعة كان يجب علي أن أكون على مكثبي، لكن ذلك اليوم كان حالة خاصة؛ يجب في البداية أن أعرف ماذا سأفعل مع ضيفي. لم نتحدث مطلقاً طيلة الوقت الذي كنا فيه في المطبخ. كنا ننظر بعضنا إلى بعض بشيء من الارتباك، لحسن الحظ بنفس الود الذي كان في لقائنا الأول ليلة أمس. أوأمأت له أن يتجه نحو الصالون حيث جلسنا لنتناول إفطارنا. كنت متأكداً أنني سأبدأ الحديث لأنه لن يفتح فمه. كان مستغرقاً تماماً في طبقه حتى استلزم أن أصفق في الهواء حتى ينتبه لي، تنحنحت قليلاً وبدأت الكلام بنبرة جادة:

- "انظر يا مايكل. أنت لست شخصًا غيبًا، لقد حققت الكثير والكثير في حياتك. يجب أن تحاول أن تفهمني. بالنسبة لي... وجودك هنا هو شيء مثير جدًا. الكثير من البشر يتمنون لو كان في موضعي. فأنت مايكل جاكسون! أفهم؟".

- "نعم، نعم"، قال وألقى نحوي نظرة مهدئة دون أن يتوقف عن الأكل.

أكملت:

- "يجب أن نتحدث. لا أعرف كيف أتيت إلى هنا، ولماذا أتيت إلي... لم يكن لدي الوقت لأفكر. أريد أن تقول لي ماذا يحدث. على الأقل أن أعرف الحقيقة...".

حينها، وعندما فهم أنني بدأت أشعر بتوتر من غموض الموقف، اعتدل في جلسته وحاول أن يقول شيئًا:

- "لا أدري لماذا جئت إليك... حقيقة، أريد أن تصدقني. غريزتي قادتني إلى هنا... لا أريد أن أضغط عليك. هطل مطر غزير مع تلك العاصفة اللعينة بالأمس... لكن لو أن الأمر.. لا عليك، سأغادر".

- "لكن لا، لا، ليس الأمر هكذا!" قمت وصحت بشيء من الحدة. "أنت لا تضايقني يا مايكل، أنا لم أعن هذا. لكن ألا أستحق تفسيرًا؟ قلت لك من قبل. ألا تفهم أن هنا ليس هو مكانك الطبيعي؟".

نظر إلى الأرض وخرجت منه تنهيدة. ثم قال بصوت يشوبه التردد:

- "نعم، أنا لست مجنوناً، أفهم... أفهم ما تقول. لا بد أن لديك آلاف الأسئلة".

كنت قد جلست. الآن قام هو وراح يتجول حول الأريكة.

- "أريد أن أعيش، هذا هو كل الأمر... تقول دائماً إنني مت. هه، وماذا حدث؟ الآن أنا هنا، فلم إذاً نتحدث عن أمر آخر؟ إذا كنت لا تريدني، سأجد مكاناً آخر أمكث فيه، لا أريدك أن تتضايق. لكن ببساطة اعتقدت أنك تريدني هنا، فقد اخترتك أنت".

لقد تحول إلى إنسان يتحدث بشيء من المنطق، حتى ولو كان هذا المنطق غريباً عمّا قد ينتظره أحد.

- "لماذا أنا يا مايكل؟ لماذا؟" سألته مجدداً، بتأكيد على السؤال وأنا أضغط بقوة كبيرة على زجاجة الحليب التي أمامي إلى درجة أن سال منها بعض الحليب على المنضدة.

- "أعتذر... لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال. قلت إنك أنت من وقع عليك الاختيار...".

مسح فتاتاً علق على فمه، ثم رفع كتفيه كما لو أراد أن يعبر عن صدق نيته بأنه في الحقيقة لم يكن لديه الكثير ليقوله لي أو

أكثر مما قاله، أنه لا يعتزم أن يكشف لي شيئاً أو أنه يخفي شيئاً غامضاً مظلماً في أكمامه. تحدث مايكل بشكل واضح وصريح. صدقته لأنني وثقت فيه أو ربما ببساطة لأنني أردت أن أصدقته. بمحض الغريزة، في ذلك الوقت بالتحديد قررت ألا أضايقه بأسئلتني. الآن، طراً أمر آخر، يجب أن تحل بعض الأمور العملية المتعلقة بزيارته وإمكانية إقامته، كما يتوجب علي إيجاد وسيلة ذكية للعيش المشترك والتوازن في علاقتنا. أول ما فعلت بعد حوارنا الوجيه هو أن أتصل بالشركة وأخبرهم بأنني مريض. بالطبع لم أستطع أن أذهب للعمل في ذلك اليوم.

رياضيات I

السير على مربعات متطابقة يخلق وهمًا بالاعتيادية، شعور مختلق بالدفع يحتاجه المرء كي يشعر قادرًا أو حتى مرغوبًا بشكل ما فيما يُسمى بهذا العالم. السير يلد قواعد طبيعية، عادةً، يرتبها المخ بلطف في هذا الظرف تدريجيًا فينتج انسجامًا رائعًا، الخطوات بها من الثبات والثقل مرحب بهما يصعب على السائر التخلي عنهما، حتى وإن صارت المربعات أضيق، حتى إذا انحرف مرتين أو ثلاثًا سيعود ويقف في منتصف الأشكال ويستمر في سيره. هذا يبدو في كل الأحوال مثل نتيجة دقيقة صحيحة، مشية جميلة، الرأس لأعلى، ثابت، يظهر كل ما هو في الأمام، والسائر يشعر بضعفي أو ثلاثة أضعاف الأمان، يشعر بثبات زماني ومكاني، لا يقلقه ولا يهدده شيء، الإيقاع عشش بداخله ويعيش هذا دون أن يحتاج للنظر يمينًا أو يسارًا أو للخلف، لن يقفز أي كائن بري ليفزعه، حيث إن السير يضمن له طريقًا آمنًا. طالما بقيت المربعات لا تسبب لنا التعرق، تحررنا من قلق ما قبل الموت، من الجسد المنهك، من الكذب، من خيانة الروح، الشعور الذي فزنا به هو بلا شك انتصار عقلي، نحن هنا موجودون فوق مربعاتنا. والسائر الحق يعرف هذا جيدًا. كم مرة لا يقفز البشر كالوحوش في أعماق الليل الطويل غارقين في عرقهم تلهث

أنفاسهم في صدورهم يسعون نحو يد أمومية، يطلبون قبلة أو لمسة حنونة حتى يتوقف الرعب والكابوس المشتعل وحلم الفناء المفزع. هذه الحقيقة لا تضايقنا، حقيقة الكوابيس؛ لأن الموت فوق المربعات - وإن ضاقت تدريجياً أو اختفت - الموت فوق هذه الأشكال الرحبة، يلغي وجوده الجغرافي، يصبح محض كلمة، كلمة فضفاضة بلا معنى. من الأفضل إذن أن نبقى هناك حتى إشعار آخر.

2

نزهة في المدينة

بعد أن قررت أن أتوقف عن الأسئلة، ارتديت قبعة للحماية من الشمس واقترححت على مايكل أن نخرج قليلاً لنتمشى. قبل مبتهجاً. أجواء المدينة في الصباح الباكر ساحرة. مضى بجواري وهو ينظر إلى أسفل متتبعاً خطواتي يلقي بين الحين والآخر نظرات عابرة على نوافذ المحلات والباعة الجائلين. كنت سأذهب به إلى الحي ذي المقاهي الجميلة، لكن في البداية أردت أن نمر على النهر ونقف قليلاً على الجسر الذي كان رائعاً ذلك الصباح، مر وقت طويل على مروري من هنا في هذا الوقت بسبب عملي، كان يضع كفيه في جيبه وعيناه كانتا رطبتين بهما سلام يدلل على مزاجه الطيب. لاحظت أن البعض ينظرون إليه كثيراً كما لو كان يذكرهم بشيء، لكن لم تكن هناك ردود أفعال مبالغ فيها، ولا سمعت أي همس خلف ظهورنا طيلة وقت نزهتنا حتى وصلنا إلى الجسر.

- "هل يعجبك هنا؟" سألته عندما كنا على أرضية الجسر الحجرية، نتأمل المدينة في الأعماق خلف النهر من ناحية المناطق السكنية وحتى الأحياء جنوب المدينة أسفل محطة السكك الحديدية.

- "نعم، إن المكان رائع، أشكرك" قال لي بتواضع مبتسماً.

وقفنا في منتصف الجسر ننظر إلى مياه النهر الهادئة. كانت حركته بطيئة والجسر لم يكن مزدحماً مثلما في المساء عندما يعج بالناس، وصياح الأطفال يهرولون هنا وهناك وفي أيديهم

الحلوى وبالعاشقين الذين يسرون بطول الجسر مشبكين أيديهم. كان في ذهني عندما تنتهي من هناك أن نجلس في أحد المقاهي، أن أتحدث لمايكل عن نفسي، ليعرف مع من يتعامل. لكن بينما استندنا بأكواعنا إلى سياج الجسر الحديدي ونسيم الصيف يداعب أجسادنا برهافة، ظننت أنها اللحظة المناسبة للكلام في هذا الموضوع.

- "أتدري يا مايكل... لقد قلت من قبل إن الأمر أشبه كما لو كنت اخترتني، إنني كنت المختار. ألم تقل هكذا؟" قلت بتردد بسيط. أوماً هو بالموافقة. "لكن تعرف"، أكملت: "أنا لست إنساناً عادياً... لقد وقع اختيارك على حالة غريبة ويجب أن تعرف هذا قبل أن تقر..."

- "هل تدري ماذا أريد؟ أن أكتب بعض القصائد، أن أصبح شاعرًا. هل يمكنك مساعدتي؟". قاطعني فجأة قبل أن أبدأ بالاعتراف عن حقيقتي.

- "قصائد؟ من أين أتى لك هذا؟".

- "لا أدري، كنت دائماً ما أريد هذا. هل هناك فرصة لتعرفني على أحد الناشرين؟".

قال جملته الأخيرة بلهفة كبيرة، لم أكن أدري كيف أرد، لم أكن مستعداً لشيء كهذا.

- "لا أدري، سنتحدث في الأمر، لا أعرف الآن يا مايكل، دعني

أقول، لا أعرف... لقد تشوش عقلي الآن، فقدت تركيزي
تمامًا...".

زفرت متوترًا.

- "لكن ماذا يحدث لك؟ انظر كم هو جميل هذا النهر!" قال
مايكل وهو يشير لي مبتسمًا نحو المياه.
دعوته لنكمل نزهتنا، مضيت نحو جانب الجسر.

ثم أكملت:

- "اسمعي يا مايكل... هناك أمر هام، قلت لك إنني لست طبيعيًا،
كيف أشرح لك... أنا أعاني من اكتئاب حاد، لدي مشاكل
كثيرة، أتعاطى عقاقير، عقاقير ثقيلة... هل تفهميني؟".

- "هذا لا يضايقني"، أجاب بأريحيته التي صارت معتادة ثم
ألقي نظرة على امرأة تمر بجوارنا للحظة.

- "لا يضايقك لكن أنا أعيش حياة محددة، رتيبة، أنا أخطئ
للانتحار - لو كل شيء سار على مايرام - لدي أصدقائي
وعملي في المكتب. ماذا ستفعل أنت حيال كل هذا؟".

- "فهمت... قال ونظر إلي في عيني. بدا وكأنه مجروح.
"سأعادر، معك حق، لا أستطيع أن أفكك حياتك. سأرحل...".

شعرت بالارتباك من هذا الحوار. لم أشأ أن يرحل، لا أريد هذا،

لكن هذا الغموض يقتلني. لو بقي، علينا أن نضع بضع القواعد.
أو بأي حال، أن نرسم واقعاً جديداً نستطيع فيه نتعايش.

قلت بثبات لا يخفي حدة في صوتي ووضعت يدي على كتفه
برفق كما لو أردت أن أهزه:

- "ستبقى! ستبقى معي. انتهى الأمر! أنا أطلب منك فقط أن
نحدد الطريقة التي سنعيش بها... فأنا على سبيل المثال في
الصباح أذهب إلى العمل. ماذا ستفعل أنت في المنزل؟".

- "سأنتظر وأكتب قصائدي!" قال بحماس.

لمعت عيناه. لم يكن لدي رد.

- "حسناً... بعد ذلك، في الظهيرة... أتعاطى عقاقير وأنا
أحياناً... أو أشاهد التلفاز وألعب حياتي... ألن تشعر
بالممل؟".

- "سأصعب اللعنات معك، ليس هناك مشكلة..." أجاب بهدوء.

لم يبد أن هناك شيئاً يضايقه.

- "مايكل! مايكل!" قلت بصوت أعلى؛ أردت أن أوقظه من هذه
النيرفانا وهدوئه المزعج.

أمسكت بكتفه بقوة، فانفجر ضاحكاً، وفي هذه اللحظة بالضبط
مرت بجوارنا امرأتان شابتان. قالت إحداهما بهمس تقريباً حتى

لا يُسمع تعليقها للأخرى: "مايكل جاكسون!".

التفت وحييتها بنفس النبرة بأدب.

- "اسمعي بالأخير! كم مرة يجب أن أقول لك؟ أنت مايكل جاكسون، لا يمكن أن تجلس في المنزل وتكتب الشعر. بحق الرب، أنت مايكل جاكسون!".

- "حسنًا، ثم ماذا؟ اهدأ قليلاً، لا تكبر الأمور"، قال لي باستياء نوعي.

شعرت بالحماسة بعض الشيء. تمشينا حتى حي المقاهي. اخترنا المقهى الثاني وطلبنا شيئاً لنشره. بدا لي الأمر غريباً لأنني لست في الشركة في هذا الوقت. عندما كنا لا نتكلم كان يتولد لدي الانطباع أننا نتواصل بشكل أفضل، وكأن ثمة شيئاً سرياً، أو حلقة غير مرئية تربطنا. فجأة، غمرني ارتياح مبهج فبدأ لي كل شيء سهلاً. إن مايكل معه حق، لقد كنت بالضبط كما قال لي: المختار. لماذا لا أستمتع بهذا القدر وأتشبث بحظي؟ لقد اختارني أنا. ما أهمية الأسباب؟ كم من البشر يريدون أن يكونوا مكاني...

مر الصباح الأول مع مايكل كالحلم. في الظهيرة جلسنا وتناولنا غداءنا في مطعم بجوار المحطة. سيطر علي إحساس بالحرية... يوم واحد فقط لم أذهب إلى العمل وشعرت كأني طفل، كما لو كنت في عطلة صيفية في نفس المدينة. كان مايكل على الجانب

الآخر يبدو أنه يستمتع بيومه. كان يأكل كثيرًا (وهو الأمر الذي أثار استغرابي)، كان ينظر إلى المارة بين الحين والآخر ويصغي السمع عندما كان البعض يتحدثون بصوت عالٍ بجوارنا.

فكرت أن ما أقوم به معه الآن لو استثنينا خروج النصف ساعة مع جو لنحتسي البيرة، هو أمر لم أقم به منذ سنوات؛ دائمًا ما كنت أعتقد أن أفضل صحبة لي هي نفسي. معي، لكن حتى اللحظات الأولى جربت شعورًا منسيًا لدي ربما منذ فترة المراهقة، عندما كنا نقضي ليلنا ونهارنا في الشوارع مع أصدقائي ناسيًا تمامًا أن لدي بيتًا يجب أن أعود إليه. كم كانت رائعة النزهة الأولى، حتى إنني الآن قد نسيت أن مايكل ربما يكون قد ندم أو يريد أن يغادر. سأتضايق كثيرًا في الحقيقة. لم أمسك لساني وقلت له فيما بعد عندما وصلنا إلى البيت وكنا نشرب القهوة:

- "لقد استمتعت كثيرًا بنزهتنا يا مايكل. لا أريدك أن تذهب، ابق هنا قدمًا تشاء...".

- "هل جنتت؟ إلى أين سأذهب؟ سوف نشيخ معًا!".

قال بحميمية تكتنف صوته، ولن أخفي أنه بينما أعجبني حماس صديقي الجديد، رحت أتأمل أن سنوات كثيرة قد مرت وأنا أعيش حياة محدودة الرغبات، كان لا يمكن أن تبقى مدفونة بهذه السهولة.

- "مايكل، هناك أمر آخر يجب أن تعرفه... حدثتك من قبل على

الجسر عن مشكلاتي. أعتقد أنك فهمت. لكن هناك أمراً آخر يشغلني ولا يمكنني أن أتخلى عنه، حتى وإن كانت صحبتك تسعدني. هو أمر محفور بداخلي."

- "ما هو؟" سألني بتساؤل حقيقي.

- "أريد أن أنتحر، قلت لك قبل ذلك... أعتذر، لكن هذه الفكرة تغمرني بالنشوة. يجب إذاً أن أنجح في

تحقيقها ذات يوم"، قلت له وأنا أرتشف آخر نقطة قهوة في فنجانتي.

- "وأنا، ماذا سأفعل وحدي؟" قال مايكل وقد أظلمت نظرتة.

- "لا، لا، لن يحدث الآن، ما زال لدينا وقت. الآن أنا على ما يرام مع العقاقير. أنا أتحدث عن المستقبل... انس الأمر، لا تفكر فيه!" أجبت بنوع من الابتهاج، حتى لا أثقل الأجواء.

لكن مايكل لم يرغب في تغيير الموضوع.

- "لماذا تريد أن تفعل هذا؟"

- "أنا لست مفيداً لأي أحد، ولا حتى لنفسي. الأمر بسيط. لا يملؤني أي شعور. رأيت ما يجب أن أرى، كفى على ما أعتقد. أنا عبء على الإنسانية".

- "أنا لا أفهم هذه الأمور... على أي حال، هل هناك شيء نأكله؟" قال مايكل وربت على بطنه كي يكون مقنعاً.

- "يا مايكل، لقد أكلت كثيرًا من ساعتين. هل جعت بهذه السرعة؟ دعني أسألك، ماذا كنت تأكل عادة؟ أعني فيما قبل؟".

ضحك. أحضرت له من المطبخ علبة بسكويت لمع وجهه التقطه وفتحه بسعادة بالغة.

- "ماذا سنفعل في المساء؟" سألني والفتات يغطي شفثيه وملابسه.

- "مايكل، لا أدري ماذا سنفعل. خرجنا في نزهة وقضينا وقتًا ممتعًا. ماذا سنفعل بعد ذلك؟ لا يمكن أن نتمتع في الخارج طيلة اليوم لا تنس أنني أعاني من اكتئاب حاد. يجب أن أجلس في المنزل قليلاً حتى لا تسوء حالتي".

- "حسنًا، سأجلس هنا لأكتب. يجب أن أبدأ في كتابة مجموعتي الشعرية، القصائد كما قلت لك".

نظرت إليه، لكنني لم أرد.

- "لم لا تحدثني عنك؟ عن حياتك؟ هل ترغب في هذا؟".

سألته بطريقة لطيفة دون أدنى رغبة مني في أن أضغط عليه. وضع ما تبقى من البسكويت جانبًا على المنضدة الصغيرة وتحدث وهو ينظر إلى الحائط المقابل له. استعددت للاستماع باهتمام.

- "أنا لا أتذكر أمورًا كثيرة... ولدت قبل سنوات كثيرة. سنوات

طفولتي كانت صعبة.. كان أبي يضربني، أمي كانت مدمنة للكحول. بعدها بدأت في الغناء كي أكسب المال. غيرت شعري مرات كثيرة. ذات مرة، في الشارع، أبرحوني ضربًا، كان هذا جميلًا...".

- " ما هذا الهراء؟" قلت معترضًا. " هل يمكنك أخيرًا أن تتحدث بجدية؟".

قمت وأشحت بذراعي في الهواء. لا يوجد أي أمل أن نتحاور بشكل عادي. لا يجب حتى أن أغضب. لا عليك... سنكون ببساطة صديقين جيدين، دون أن نحفر في الماضي. بعد ذلك، في المساء، طرق السيد مين الباب من أجل قهوتنا المسائية. بالرغم من أن مايكل لم يكن في محيط بصرنا إذ إنه لا يزال يقف عند الباب، فهم أن ثمة شيئًا تغير في الأجواء. ربما تعبير وجهي.

- " هل يمكن أن أدخل؟" سألت بشيء من التردد قبل أن أجيبه، ضم عينيه متفحصًا.

جلس السيد مين على مقعده المفضل وحينها صاح مايكل الذي كان في الغرفة يكتب القصائد. فور أن رأى السيد مين انحنى بأدب ومد له يده مصافحًا. تبادل الرجلان مصافحة مهذبة.

- "مايكل. فرصة سعيدة"، قدم الضيف الأول نفسه.

هز السيد مين رأسه وقال اسمه. رأيت صفحة بيضاء تظهر من جيبه، لكنه تردد في ظل هذه الظروف. شعر بالخجل أن يخرج

الورقة ليكتب.

قلت له مشجعاً:

- " ليس هناك مشكلة. إن مايكل واحد منا. أخرج الورقة لنكتب الشكوى يا سيد مين!".

- " بالتأكيد " قال الرجل بلطف.

حينها سهل مايكل الوضع كثيراً.

- " قوما بعملكما. أنا سأجلس هنا لأقرأ ما كتبته في دفترتي. لا يشغلكم أمري...".

ابتسم السيد مين برضا. أحضرت القهوة لنبدأ.

- " أشرب أكثر من عشرة فنجانين قهوة في اليوم. أشعر بالضيق عندما أشرب عددًا أقل من الفناجين، أشعر باضطراب في معدتي "، قلت لكليهما بينما أحمل الصينية بحذر حتى لا تنسكب الأكواب الساخنة.

أمسك السيد مين ناصية الحديث.

- " أعتقد أن هذه المرة يجب أن نُعد شيئاً أكثر ذكاءً! " قال وهو يضحك ملء شذقيه.

كان يبدو عازماً، لم يفقد دأبه حتى الآن وكان يعلم أنه في السنوات الأخيرة قد أرسل ما يربو على ستمئة رسالة وشكوى إلى السلطة المحلية، قوبلت كلها بالتجاهل، ثم أخذ مكانه على الأريكة

وكان مستعداً للبدء.

- "مايكل من فضلك"، قاطعته قبل أن يبدأ في كتابة الشكوى،
"هل يمكنك أن تجلس على الأريكة كي أستطيع الجلوس
بجوار السيد مين؟".

سمعني دون أي اعتراض، أردت أن أكون بجواره كي أصح له
الصيغة إذا ما احتاج الأمر:

- "لنؤكد على نقطة أن حفرة المجاري كانت صغيرة في الطول
لكن كبيرة في العرض، وهكذا، لو كان أحد يسير بلا انتباه
في تلك المنطقة كان سيعتقد - بالخطأ - أنه يستحيل أن يقع
فيها، بما أن الحفرة صغيرة، لكن لو تحرك بميل قليلاً، مثلما
حدث مع زوجتي الحبيبة، سيقع فيها بكل تأكيد، دون أن
ينتبه على الإطلاق، أي مثلما حدث بالضبط. ولنذكر هنا أن
الحفرة كانت عميقة، وهو الأمر الذي يتأكد من حقيقة أن
الأمر احتاج إلى ما يقرب من نصف الساعة حتى نسحبها
على السطح. لقد صنعتم شارعاً عميقاً يا سادتي الأعزاء،
وزوجتي التي كانت تجيد الغط...".

- "لا تكتب هذه الجملة يا سيد مين، فوقعها السمعي سيء..."
قاطعته.

- "لكن لماذا؟" قال وهو تقريباً محبط، وبدا عليه أن الملاحظة
لم تعجبه.

- "شارع - عميق... وزوجتك غطاسة... هل يبدو لك هذا جيداً؟ لا يجوز. فكأنما تقول إن زوجتي غطست بمحض إرادتها".

- "أردت فقط أن أضفي نبرة شعرية!" قال مين مبرراً وفور أن نطق بالجملة، التفت مايكل مهتماً.

- "لو سمحتم لي... في هذا الحالة ستحتاجون إلى شيء أكثر شعرية، يمكنني أن أساعد. فأنا في هذه الفترة أجهز لمجموعتي الشعرية و...".

- "لحظة واحدة! توقف! مايكل، لا تسع الفهم... انشغل أنت بقصائدك ودعنا قليلاً نقوم بما نفعله". فهم، رفع يديه عالياً كأنه يستسلم ثم عاد إلى دفتره.

- "يا سيد مين، تعلم جيداً أنني أحبك وأنت صديقي... لكن يجب أن تكتب شيئاً آخر، هذه الشكوى غير مؤثرة، لقد كتبت ما يشبهها من قبل، يجب أن نفكر في شيء أفضل".

ترك الورقة على المنضدة وشرب القليل من القهوة. لقد فقد حماسه، لكنه لم يستسلم، كان عازماً على الحصول على حقه. في واقع الأمر وإن كنا نتحدث بشكل قانوني، الموضوع يُعد منتهياً. لم أكن أجزؤ بالطبع أن أقول هذا أو أشير إلى شيء من هذا القبيل. الحقيقة القاسية كانت هي أن زوجته المسكينة كانت المسؤولة عما أصابها من سوء، إذ إن سلطة الحي قد وضعت لافتات تحذير كثيرة في كل المنطقة التي كانت تجري فيها أعمال

إصلاحات بل وإشارات بمنع المرور في مناطق الحفر، وكل ما يستدعي تنبيه المارة لإبعادهم عن الخطر. الآن، كيف استطاعت -لأننا بصدد نوع من الإنجاز الذي يحتاج إلى محاولة- أن تصل إلى هناك ومن ثم تسقط في الحفرة، الأمر يكتنفه غموض يكاد رأسي ينفجر كي أفسره.

مكث السيد مين نصف ساعة أخرى ثم غادر وواعد أن يفكر في شيء أفضل ليكتبه في المرة القادمة. حل الليل. كانت أول ليلة مع مايكل. هذه المرة كنا أكثر تنظيمًا. فتحت له سريراً للطوارئ كان لدي، بحثت ووجدت بيجامة جميلة وأعطيتها له بعد أن ذكرته بأنني في اليوم التالي يجب أن أذهب للعمل، وبالتالي سيبقى وحده حتى الظهيرة.

قبل أن أنام، تناولت عقاقيري ونظرت إلى أجندتي، غداً يجب أن أذهب إلى طبيبي، ربما سأفعل هذا سريعاً بعد العمل مباشرة حتى لا أترك مايكل وحدة لساعات طويلة. كنت في حالة مزاجية جيدة. بدا لي اليوم الذي ينتهي طويلاً جداً. منذ فترة طويلة لم أقض يوماً ممتعاً حتى إنني قد نسيت أحلام اليقظة وتخيل انتحاري المهيب والمثير، لكن لا يهم، لا يزال لدي كل الوقت في حوزتي.

3

إدارة الوقت

العمل في المكتب كان مرهقاً. لقد قاموا ببحث وكان يجب ترتيب البيانات في نفس اليوم حتى الظهيرة. ارتكبت الكثير من الأخطاء وكنت أعود دائماً وأبداً من جديد. كنت أشرب فناجين القهوة تباعاً، كان عقلي مشغولاً بمايكل؛ ماذا كان يفعل وحده؟ في الصباح قبل أن أغادر تركت له زوجاً من المفاتيح على منضدة المطبخ في حالة إذا أراد أن يخرج من المنزل. في نحو الساعة الواحدة بعد أن شربت القهوة طلبت شيئاً لآكله. كانت عيناى تؤلمانى. فكرت فى أن ما تبقى لى هو ساعتان وقد أصابنى الئأس بالفعل. لآسن الحظ قد أنجرت أغلب العمل. اتصلت بالطبيب وأآبرته أنني سأمر على عيادته على عجل. عندما انتهيت من دوامى، استقلت الحافلة ووصلت إلى هناك فى غضون عشرين دقيقة. استقبلنى مبتسماً كعادته. كان رجلاً مهذباً، من اللحظة الأولى التى تسلم حالتى أظهر اهتماماً كبيراً وكان يحاول أن يعيدنى إلى رشدى، دون أى نتيجة تذكر بالطبع.

سألنى وأنا فى طريقى للدخول لو كنت سعيداً بالعاقير الجديدة أو إذا يجب أن نغير بعضها. قلت له إننى سعيد فى العموم. لندع هذا الأمر للنهائة.

سألنى:

- "كيف حالك؟ تبدو لى أفضل من المرة السابقة".

- "أنا على ما يرام"، أآبت. "إن الحياة غريبة جداً... لا أفهم

شيئاً... من أين نبدأ الآن...".

- "نعم. لكن بقدر صعوبتها بقدر ما علينا أن نحاول أن نسهل الأمور على أنفسنا"، قال الطبيب وقد تشكلت بعض التجاعيد المضحكة على جبهته.

- "حياتي ليس لها إيقاع يا دكتور. هذا ما يضايقني أكثر من أي وقت مضى. كل ما أفعله يضيع في حاضر أزلي، ليست هناك أي خطة، لا شيء ملموس، كل شيء يتبخر في ضباب ميتافيزيقي باهت... هذه هي مشكلتي. يمكنني أن أصف حالتي أنها حالة سُكر مزمنة غير مفهومة".

- "لماذا تصفها بهذا الشكل؟ ولماذا سُكر؟".

- "لا أدري... هي الكلمة التي تأتي إلى ذهني عندما أفكر في حالتي. وصدقني، أنا لا أفكر في شيء آخر... كما لو أنني لا أسيطر على حركاتي، كما لو أنني لا أعيش حياتي. لا يمكن أن تكون هذه هي حياتي عندما أراقبها من الخارج دائماً، ألا تعتقد؟".

- "ماذا تعني؟ أتعني أنك تشاهدها؟".

- "ليس لدي وعي بذاتي، كيف أشرح لك... ليست هي قليلة تلك المرات التي لا أستطيع أن أجيب على شيء بعفوية، إذ إنني كمشاهد، أتواجد في عالم آخر وبالطبع لا تكون كلماتي حاضرة في الوقت الذي يجب أن أتحدث فيه، أن أعبّر... الأمر

أشبهه بشكل أكبر كما لو أنني أعيش حلم شخص آخر".

سمعني الطبيب ودون شيء. أي لا جديد.

- "نعم، حسنًا، فهمت. على كلٍّ، بغض النظر عن كل هذا، أراك أقوى اليوم".

- "أتدري، حدث شيء ما...".

- "ماذا حدث؟ شيء سار؟" ابتسم بشيء من الحذر.

- "لدي صديق جديد"، قلت له على الفور ولاحظت اهتمامًا في نظرتة.

- "هذا جيد جدًّا"، أكد علي الطبيب ثم أكمل: "الاندماج المجتمعي هو عنصر أريد أن أعززه لديك"، قال وهو يحرك يديه بعشوائية.

- "إنه مايكل جاكسون!" قلت وعلى الفور تذكرت أنني يجب أن أعود إلى البيت، كان طيلة اليوم وحده.

- "من؟" قال الطبيب وعادت تلك التجاعيد على جبهته مجددًا.

- "مايكل جاكسون... المعروف... يجب أن أذهب بعد قليل؛ لأنه وحده في البيت وأنا قلق قليلًا".

على الرغم من كل ملاحظات الطبيب عن تحسني، أعطاني بينما أغادر وصفة عقاقير جديدة طويلة جدًّا (ومما استطعت أن أراه،

جرعات كبيرة وقوية من الأولانزابين والكويتيابين)، والتي فهمت فيما بعد في الصيدلية أنها عقاقير نفسية قوية. عندما وصلت إلى البيت وجدت مايكل يجلس هادئاً على الأريكة يكتب قصائده. سعدت كثيراً عندما رأيته. ربما هو أيضاً كان لديه نفس الشعور، إذ إنه وقف، تقريباً قفز من سعادته عندما عدت.

- "كيف حالك؟" سألته. "تكتب بغزارة. برافو!"

- "نعم اليوم كتبت خمس قصائد، أنا سعيد جداً!" قال ثم نظر إلى الكيس الذي أحمله.

- "إنها أدوية، اشتريتها للتو"، قلت ووضعتها على الطاولة.

- "آه، ظننت أنك أحضرت طعاماً"، قال بشيء من الإحباط وبدا اليأس على وجهه.

- "لا تقلق، سأتصل بالسيدة دينا كي تطبخ لنا!" قلت له مبتهجاً واتصلت على الفور.

السيدة دينا هي امرأة تأتي يومين كل شهر لتطبخ لي. هي أرملة في الستين من عمرها تقريباً، سميحة ولطيفة. عادة هي لا تقوم بهذا العمل، لكن منذ وفاة زوجها ساء وضعها الاقتصادي ولذلك أعطيتها بعض النقود من أجل أن تطبخ لي؛ فأنا أيضاً أحتاج إليها إذ إنني لا أشتهر بمهارتي في الطبخ. تسكن على بعد مربع سكني من هنا وهي متاحة وقتما أحتاجها. وبالفعل جاءت خلال عشر دقائق، كانت تحمل أكياساً بمكونات الطعام، وعندما

دخلت بدت متحمسة وصرحت بأنها ستطبخ شيئاً لذيذاً. في البداية لم تر مايكل الذي كان واقفاً يراقبها. فور أن رأته ترددت قليلاً لكنني اعتنيت بإذابة الارتباك.

- "هذا صديقي مايكل"، قلت لها.

مدت السيدة دينا يدها إليه بخجل. فصافحها مايكل. نظرت إلي السيدة كما لو تحاول قول شيء.

- "أليس هذا م...".

- "نعم، نعم، هو نفسه!" قلت لها ضاحكاً بينما أشير لها كي تفهم أننا جائعون للغاية ومن الأفضل أن نكف عن الثثرة لكي تبدأ في الطبخ.

طيلة الوقت الذي كانت تطبخ فيه المرأة لم يكف عن الذهاب والمجيء في المطبخ ليلاحظها. أشارت له أن يجلس في الصالون ويتركها تعمل في هدوء ربما لا يعجبها أن يتابعها أحد في المطبخ. بعد قليل ظهرت السيدة دينا وهي تحمل طبقاً كبيراً بلحم مشوي وبطاطس وقدمت لنا الطعام وجلست أمامنا في صمت. كان لذيذاً جداً. كان لمايكل نفس الرأي إذ إنه اختفى تماماً في طبقه. عندما انتهينا من الطعام، غسلت السيدة الأطباق ووضعت في البراد ما تبقى من الطعام وبعدها دفعت لها، غادرت. لم يفهم مايكل هذه المقايضة، حتى إنه تساءل عندما غادرت سريعاً.

- "ماذا حدث؟ لم أفهم"، سألني بعدما أغلقت الباب خلفها.

- "ما الذي لم تفهمه يا مايكل. ليس هناك شيء لتفهمه".

- "إلى أين ذهبت الآن؟".

- "إلى بيتها. إلى أين يمكن أن تذهب؟" قلت وأنا أفتح التفاز.

- "لقد غادرت على عجل. ألم يمكنك أن تجعلها تبقى قليلاً!"
قال وهو ينظر لي بإصرار وعلى وجهه تعبير واضح بعدم الفهم.

- "يا مايكل، لقد طبخت، غسلت الأطباق، دفعت لها أجرها وغادرت. ماذا يمكنها أن تفعل بعد ذلك. ذهبت إلى بيتها لتستريح، كما أنني في حاجة للراحة بعد ساعات طويلة في المكتب!".

لم أكن في مزاج لأستمر في هذا الحوار أكثر من هذا، فكنت أبدل القنوات بسرعة علني أجد فيلمًا جيدًا.

- "لا أظن أنك شعرت بالتعب بشكل خاص. من ماذا ستستريح؟"
سمعت مايكل يقول من بين أسنانه؛ أراد بالطبع أن يسمع تعليقي.

لم أجهه. ظللت أبحث عن فيلم روائي أو تسجيلي، أي شيء ليمر الوقت. أشعر بالملل. قلت له. هز كتفيه وذهب إلى الغرفة كي يستمر في كتابة قصائده. شعرت بشعور غريب. كان مزاجي لا يزال جيدًا، لكن رهبة زيارة مايكل قد زالت تقريبًا. كما لو كنا

أصدقاء منذ سنوات، لم أستطع استيعاب معنى هذا الشعور الجديد. افترض أن زيارة مايكل كانت قدرية، حدث تلقائي كان يجب أن يحدث، والآن بينما يحدث لم يعد مثيلاً. لكن علي أن أعترف أن من دفع إلى هذه الحال كان مايكل نفسه ببساطة شخصيته. كنت متأكدًا من أنني أعرفه جيدًا. ولم يمر على تعارفنا أربع وعشرين ساعة! كما أعترف أن مشاعري كانت تزداد تعقيدًا مع مرور الساعات. نعم، كانت هذه هي الحقيقة: الساعات التي عشتها معه كانت رائعة وخالية من أي هموم، ربما كانت سعيدة. لكن، ماذا سأفعل من الآن فصاعدًا؟ لم أكن شخصًا يمكنه أن يتشارك حياته بسهولة مع الآخرين. أحب دائمًا أن أكون وحدي. الآن أعيش معه. حسنًا، قبلت بهذا، وليس لدي شعور سيئ. لكن كلما مرت الساعت والثواني يغمرنى القلق. ماذا سأفعل مع مايكل؟ كيف ستمر الأيام التالية، بل هذه الليلة التي أمامنا؟ ألم أكن أجد في مثل هذه الأمور، لم أكن أعرف كيف تُنظم الحياة أو تتشارك فيها مع أحد. كنت أعرف جيدًا كيف يمكن أن يتفوق المرء تحت البطانية ويرتعش من القلق الذي يسببه الوقت؛ كنت جيدًا في الحلم، أن أحلم بأي شيء وفي أي شيء سوى أن أعيش؛ كنت جيدًا في الخمول والتخلي، في الظلام وفي التشاؤم. لم أكن الشخص الذي يمكن أن يعتني أو يكون مسؤولًا عن مايكل جاكسون. سيكون تعسًا معي. أولاً، قريباً سيُطرح موضوع هام لحسن الحظ لسنا مجبرين بعد أن نواجهه: مشكلة إدارة الوقت. ماذا سأفعل معه؟ أين سأذهب به، ما الجديد الذي يمكنني أن

أقدمه له كي يكون سعيداً ولا يشعر بالملل معي مثل أي شخص آخر؟ كل هذه التساؤلات التي يجب أن تجد إجابة، وبالتأكيد لست أنا الشخص المناسب لهذا.

لحسن الحظ الإجابة جاءت من مايكل نفسه، على الأقل على المستوى النظري. في نفس الليل بالفعل أردت أن أسر له بما يعذبني. كان هادئاً ينقح قصائده وحزن عندما رأني قلقاً، أتصعب العرق من التوتر وتطور هذا التعايش المشترك.

- "أنا لا يشغلني كل هذا"، قال لي، "عش حياتك كما اعتدت. وسأبقى أنا في البيت طيلة اليوم، هذا لا يضايقني"، أضاف وضرب على كتفي بمودة كي أهدأ.

أعجبني رد فعله وهدأت في الحقيقة لكن لم أستطع أن أتخيل كيف ستمر الأيام بشكل عملي. على كل حال، عندما رأيت أن الأمر لا يشغله كثيراً شعرت بالراحة ونمت جيداً إلى حد ما. وتركت الأحداث للوقت.

اليوم التالي في العمل لحسن الحظ كان مسلياً. كان عيد ميلاد أحد الموظفين فكانت الأجواء مختلفة عن المعتاد. الجزء الأكبر من العمل تم في اليوم السابق فكان هناك الوقت لبعض الاسترخاء. كان لدى المحتفل فكرة طلب الطعام فقضينا اليوم في الأكل والثرثرة دون عمل، أشياء قليلة جداً. فتح أحدهم الراديو كي نسمع الموسيقى، لم يتضايق المدير على الإطلاق، بل جاء

هو أيضاً وانضم للصحة ليستمتع ببعض الوقت مع زملائه. في لحظة ما أذاع الراديو أغنية لمايكل جاكسون فشعرت بفخر كبير. عدت إلى البيت كأني شخص جديد. كان مايكل مشغولاً كالمعتاد بشعره. فهم الاختلاف في حالتي النفسية فور أن دخلت.

- "ماذا حدث كي تبدو سعيداً هكذا؟" قال ثم قفز برشاقة من مكانه.

لم يكن لدي إجابة محددة.

قلت:

- "في بعض الأيام وبلا أي سبب كل شيء يبدو أسهل والحياة لا تبدو كابوسية...".

- "أظن أنك تبالغ"، قال مايكل. "إن الحياة يمكن ألا تكون شيئاً عظيماً، لكنها ليست كابوسية".

ابتسمت وذهبت إلى المطبخ كي أصنع القهوة. سألته إذا كان جائعاً لكنه قال إنه على ما يرام، سيأكل فيما بعد، عندما ستخف حرارة الجو قليلاً. كان مايكل بخلاف كل شيء، إنساناً رائعاً. لم يسبب أي مشكلة، كما كان لديه الميل لأن يفعل كل شيء ببساطة، وكاريزمته الواضحة بالطبع كانت تشعرني بالسلام والراحة.

لم يكف عن الكتابة في هذين اليومين. أردت بدافع الأدب في البداية أن أسأله لو كان يريد يقرأ علي بعض ما يكتبه أو بشكل

ما كان سعيداً وهو يكتب في تلك اللحظة، لكني كنت أتردد، لم أكن أعرف إذا كان يشعر بالارتياح. في النهاية، وفي ذلك المساء تشجعت وأشرت له إذا كان سيقراً لي بعض ما يكتب؛ فقال لي إن الوقت لم يحن بعد. وأضاف:

- "الأمر المتعجل هو أن تجد لي ناشراً، أرى أن مكتبتك مليئة. بالتأكيد تعرف بعض الاتصالات، افعل شيئاً!".

- "سنرى يا مايكل"، قلت له وهرعت كي أفتح الباب. هذه المرة كان جو. كان قدرياً أن يظهر كل هؤلاء البشر في بيتي، لم أستطع أن ألغي حياتي السابقة بسبب أن مايكل جاكسون صار يعيش معي.

- "هل نذهب لنحتسي البيرة؟" قال جو فور أن فتحت الباب. كان يبدو في مزاج جيد.

- "تعالَ للداخل وسنرى"، قلت له وناديت على مايكل.

لمرة أخرى قمت بالتعارف. تعرف عليه جو بسهولة أكثر من الآخرين.

- "لكن هذا هو مايكل جاكسون!" قال لي وهو يشير إليه، بشكل يفتقد التهذيب من جانبه، كان يتصرف وكأن مايكل غير موجود أو أنه دمية بلاستيكية.

- "نعم يا جو، إنه هو، ألق عليه التحية واهدأ"، قلت له بصرامة

متعمدة.

بالطبع لم يكن ممكناً أن يهدأ.

- "لكن هذا لا يصدق! أهو حقيقي؟ ألم يمته؟ آه يا إلهي!" قال مرة أخرى ونظر إليه مندهشاً.

ألقيت نظرة اعتذار نحو مايكل كأنني أعتذر نيابة عن جو. بقي وجهه كما هو ولم يبد عليه أي تأثير من رد فعل جارنا الشاب. كما أنه بادر ووافق على عرض الخروج لاحتساء البيرة.

كلاهما تبادلوا الحديث ونحن في الطريق وبالرغم من دهشة جو العارمة توقف عن التصرف ببلاهة وكان يتحاور مع مايكل بشكل طبيعي. بالتحديد راح يسأله ليعرف بعض التفاصيل المتعلقة بتصوير فيديو كليب لإحدى أغانيه. وكان مايكل يجيبه بسلاسة وبدا سعيداً واثقاً من نفسه. وصلنا إلى البار وطلبنا البيرة. فهمت أن البعض كان يحدق بغير أدب إلى مايكل ويضحكون. حتى إن أحدهم ضحك عالياً حتى إن الجميع سمعوه شعرت بالرغبة في ضربه، هو والآخريين. فهم مايكل. اندهشت من قدرته على إظهار الهدوء والتوازن.

- "أنت على ما يرام؟" قال لي وهو يرتشف ببيوته.

أما جو -الذي فهم ما يحدث- كان يستمتع بكل هذا أكثر مني.

- "ولماذا تثير أعصابك؟ إنه مايكل جاكسون، من المنطقي أن

ينظر إليه الجميع!" صاح بصوت عالٍ حتى يُسمع صوته مع الموسيقى الصاخبة.

- "على أي حال!" قلت وأنا أحاول الابتسام. لم تكن لدي نية أن أفسد مزاج الصحبة.

وإن كنت لا أهتم بهذه الملاحظات، كلما كان جو يسأله عن موسيقاه وحفلاته وأسطواناته وحياته الفنية، كنت أحاول أن أنسجم مع الحوار عن حياته، فرحت أحرك رأسي منبهراً كلما كان جو يبدي انبهاره الشديد بإجابات مايكل. وهكذا مرت الليلة. لحسن الحظ انتهى ضحك هؤلاء الحمقى. بعضهم كان يسترق النظر إلينا لكن لم يعد يهتم أي منهم. غادرنا البار سكارى تقريباً، أنا وجو بالتحديد، أما مايكل فبدا على ما يرام. عندما حانت لحظة الفراق احتضنه جو بقوه حتى ظننت أن مايكل سيختنق.

لم يمانع مايكل؛ احمر وجهه فقط من فرط الضغط.

في وقت النوم، ساءت حالتي. التوازن النفسي الذي استطعت أن أكسبه وفكرة التعايش المتناغم مع مايكل اختفت فور أن وضعت رأسي على الوسادة. ماذا كنت سأفعل معه؟ الوقت عدو، بالتأكيد كنت أفرك يدي من السعادة ونحن نقضي وقتاً ممتعاً. والغد، كما لو كان موجة يأس تنتظرنا بذراعين مفتوحتين. في هدوء الليل كل شيء بدا مستحيلاً. ماذا سيمكنني أن أفعل مع مايكل؟ لا شيء، لا شيء على الإطلاق. أما هو فكان مرتاحاً إلى حد بعيد مع

كل أمور الحياة اليومية، كأن يعيش واقعًا موازيًا غير مرئي له، مرئيًا بالنسبة لي، واقع يصرخ قائلاً، ليس لي أي مكان هنا، وأنه لا ينتمي لهذا العالم. لماذا أأخذ نفسي؟ قبل أي شيء، لقد بدأ أمر اليوم التالي يقلقني بالفعل. لم أكن أستطيع أن أقوم بعمل برنامج طيلة الوقت. كنت أشعر أن قواي ستتخلى عني قريبًا. أنا كنت أريد الظلام والتعفن، أما مايكل فأراد النور والحياة. كيف يمكن أن يلتقي شخصان تحت هذه الظروف؟ ماذا سأفعل معه غدًا؟ غدًا... غدًا... الشيء الوحيد الذي كان في عقلي هو هذه الكلمة فقط، كنت أرتعش كالسمكة خارج المياه وأتصبب عرقًا.

في الصباح التالي في المكتب لم يكن لدي مزاج للتحدث مع أي شخص. كنت أفكر في الاتصال بطبيبي كي أحدثه عن مشكلتي، لكنني تراجعته. كان يجب أن أجد الحل وحدي. عندما عاد متأخرًا في منتصف اليوم، وبينما كنت أغلق الباب الخارجي سمعت صوت حوارات من الداخل. لم أستغرق وقتًا طويلًا حتى أفهم: كان مايكل مع السيد مين. قاطعتهما عندما دخلت. كان السيد مين قد فرد دسسته من الأوراق على طاولة غرفة الجلوس وانحنى مايكل فوقها باهتمام بالغ. وراح السيد مين يقرأ التالي:

- "وجدير بالذكر أن الحفر كان يجب أن تشق بدقة أكبر. عندما وقعت زوجتي فيها لم يستطع أحد أن يعطينا إجابات مرضية فيما يتعلق بمكانها، وهو الأمر الذي يوضح بأن عمال المشروع كانوا يحفرون بينما يدخنون...".

- "ماذا يحدث هنا؟" قاطعتهما بحسم. فنظرا إلي مندهشين.
- "كنت أساعد السيد مين في صياغة شكواه..." قال مايكل
معتزفاً.

أما السيد مين، فابتسم بعينه مثل جرو ارتكب ذنباً كبيراً.
- "لكن لا أفهم. ألم تستطع أن تنتظرنني؟ أتاتي إلى هنا في
غيابي؟".

- "أنا فقط كنت أتمشى فعرض علي صديقك أن يساعدي
و...".

صنعت القهوة. لم أكن على ما يرام. أخذت عقاقيري وبدأت
أدخن كالمجنون. كان مايكل ينظر لي باستغراب، بخوف تقريباً.
ناديت عليه من المطبخ.

- "مايكل، عندما تكون وحدك، لا أريد أن يأتي أحد".
- "طرق الباب، ماذا كان المفترض أن أفعل؟ قلت له إنك في
العمل..." حاول أن يبرر، لكن الأمر لم يكن مهماً.

كل ما يشغلني هو أمر مايكل بشكل عام. حدثته دون أن أزين
كلماتي.

- "أظن أنه يجب أن ترحل".
قلت هذا وشعرت بغصة في قلبي، لكنني كنت أحقد به كما لو

أردت أن أكون أكثر وضوحًا.

- "لكن لماذا؟" قال هو بتردد.

- "لا أستطيع، لا أستطيع... لم أعتد أن أعيش مع أحد، أنت لطيف للغاية، ليس لدي أي شكوى منك، لكن... لا أدري كيف أشرح لك بشكل أفضل...".

- "وأين سأذهب؟" قال وكأنه ألقى بسهم آخر نحو قلبي.

- "سنرى يا مايكل، سنرى... سنفكر في الأمر"، قلت له وحاولت أن أضحك بحماس مفتعل كما لو كنت أريد أن أثبت له أن كل شيء سيسير على ما يرام.

جلسنا في الصالون نشرب قهوتنا. السيد مين كان متضايقًا هو الآخر من الموقف الفأث، ولكي أحسن من شعوره بعد أن كنت قد ندمت بالفعل على أسلوبتي ونبرتي الصارمة، سألته باهتمام ظاهري:

- "هل كتبتم شيئًا جيدًا؟ أعني في شكواك...".

- "أكدنا على مساحة الحفرة... قال وهو يرتشف قهوته بصوت مسموع.

لم تكن الأجواء في أفضل حال. بعد ذلك عندما بقينا وحدنا أنا ومايكل ثانية، انتهزت الفرصة وتجاوزنا بالتفصيل في الأمر.

- "أعرف أن هذا القرار ربما يكون مفاجئاً لك... لكن لا أريدك أن تسيء فهمي"، قلت له. بدا متوافقاً وأراد أن يقول شيئاً لكنه تردد.

- "ستجد طريقك، لا تقلق. لديك خبرة طويلة في الحياة، لست في حاجة إلي. يجب أن تستمر وحدك... بغض النظر إذا ما كنت قد متَ بالفعل، لن نتناقش ونحلل هذا الأمر الآن... أنت شخص لطيف بالنسبة لي، صدقني. لكن أنا نصف مجنون بل يمكن أن أقول إنني مجنون تماماً، لكن بشكل ما تنقذني العقاقير. لن ألقى بك في الشارع بالطبع، سنجد شيئاً أفضل. وتعرف أنني لن أنساك أبداً. أنت... ماذا لديك لتقول ردّاً على كل هذا؟".

سألته وربت على كتفه.

- "تعجبني قهوتك... سأفتقدها"، قال.

كان يبدو حزيناً.

حزن المساء

بكرامة ممزقة، التهمني الشعور بالذنب ودمرني الزمن، أردت أن أعرف ما هو دوري في هذه الحياة. قفزت النمرور وبعض الديدان العملاقة كي تقطعني إربًا، ليمحوني، كي أبقى أعمى على الدوام من هذه المعرفة، ألا أرتب أبدًا فوضى أحشائي. رأيت الكثير في الظلام، مزقني الرعب، وصلت إلى نهاية الطريق، إلى سوء اليوم التالي، عاجزًا ومريضًا. واعتقدت أنني قمت بعملٍ عظيم بمسيرتي تلك في الحميم؛ ولدت وبدخلي أمل أنه ثمة قديس سيولد هكذا، في ضجيج هذا الطريق الكابوسي. جمعت آمالًا كثيرة لنفسى، حتى أخفيتهما في أعماقي والأمل الأكبر، رغبة في إلغاء الموت؛ كم كنت ساذجًا. مستلقيًا في فراشي اللين عندما انتهى كل شيء، كنت متأكدًا أنني قد سدّدت ديني وأستطيع الآن أن أعيش بحكمة أكبر. لم يتغير شيء. بعد هذيان العظمة بدأت أن أرى مرة أخرى بوضوح. كم أن حياتي رتيبة للغاية ولا تستطيع أن تصف حتى كم الصرخات المدوية. ماذا لو ولدت فكرة جميلة؟ هل لم أرقب أفكارى؟ وماذا لو شاركت حلمي مع شخص في سرية؟ هل لم أر تلف بدني؟ الاعتلال، ركبتي وأكواعي وخصيتاي وبشرتي؟ كيف يجرؤ أحد على طلب الخلود والمعجزة بعدما يلقي نظرة على البطن أو على الشعر المضحك الذي ينبت على صدره؟ تأتي

ذات مرة لحظات جميلة للانفجار والحلم، لا نرفضها. وحسنًا
نفعل: ندمر الزمن كما يدمرنا. اتفاقية جميلة، الأسبوع الأخير
مر بشكل رائع. لا. لا يزال يحتفظ بمساء الأحد، ينظر إلينا من
بعيد ويفرك يديه. كيف يمكن أن ينجو المرء من حزن المساء
حيث لا يحدث أي شيء، ما من حلم سيخترق أي شيء في تلك
اللحظات التي سينهار كل ما صنعت؟ هكذا سنذهب حتى النهاية،
ممتلئين بالجروح والرغبات، محشورين في حيوات الآخرين، فقد
خلقنا لنعيش وحيدين وكل شوق لقطعة لحم بشرية هي رغبة
كانيبالية/ رغبة لالتهام لحم بشري كي تهدئ روحنا وجسدنا،
كي ننام بضع ليالي في يقين وهمي أن ثمة جسدًا آخر متوقعًا
بجوارنا الآن فلم يعد لدينا ما نخشاه.

4

مايكل تحت المطرقة

في النهاية اتفقنا. سيرحل. بالطبع كان من المستحيل أن أفتح الباب وألقي به في الشارع. كان يتوجب علي في البداية أن أفكر ماذا سيحدث. فهو يبدو غير قادر على إدارة حياته وحده، كان يشبه طفلاً صغيراً سيضيع وسط وحشية الجموع. بعد بعض التفكير العشوائي اقترحت عليه أن ننشر إعلاناً في الجريدة؛ بالتأكيد سيريد شخص ما أن يستضيف مايكل جاكسون في بيته، لن يكون لدينا مشكلة لنجد من يهتم بالأمر. بعد ساعة كان الإعلان جاهزاً. اتصلت بالجريدة ورتبت أمر نشره. كان سينشر في اليوم التالي. رآها مايكل وبدا عليه الرضا. "المغني المشهور (مايكل جاكسون) معروض للتبني. مايكل هادئ ونظيف ويتكيف بسهولة في أي بيئة. العروض الجادة فقط". لم يكن سهلاً بالنسبة لي أن أفارقه لكن لم يكن هناك بد من هذا. صحتي النفسية كانت الأولوية الأساسية. سأضيع دون عزلتي. في حياتي كلها عندما كان يقترب مني أي شخص كنت أتلاًأ من الفرحة وكان قلبي دائماً منفتحاً، لكن تدريجياً، عندما كان الشخص يقترب أكثر أو يعبر عن نية للإقامة معي، حينها فقط وهذه الفكرة فقط كانت كفيلة لتوتري وإرباكي التام وفي النهاية كنت أغانر، أهرب. كنت مصنوعاً من هذه المادة: شخص أخرج غارق في البؤس والهجران وملعون منذ طفولتي بأن أعيش مع ظلي في بيتِ خاو. هل لم أعرف مستقبلي؟ لم يكن لدي الكثير لأنظره وأتوق إليه، أنا والعالم، ملك الوحوش، عناد وقلب من

حجر، ستأتي الشيخوخة وتمزق كل ما لم ألمسه، جسدي سيقطع
إربًا ولن يوجد أي شخص ليعطيني كوبًا من الماء، فسأكون قد
طردهم جميعًا بعيداً عني. الآن صار الوقت متأخراً للندم يا
عزيزي.

انتشر الإعلان وكانت له أصداء واسعة. في الصباح التالي لم
يكف هاتفي في المكتب عن الرنين. في النهاية لن يكون الأمر
صعباً. كنت أرتب المواعيد، لم أحتج لفعل أكثر من هذا. كنت أمل
أن يحالفنا الحظ. عندما عدت وجدته يجلس مرتبكاً على أريكتي
وكدت أنفجر في الضحك. بجواره دفتر قصائده، لكنه لم يكن
يتحرك، كان يجلس كما لو أنه في عقاب. صنعت القهوة وخبرته
أنه بعد قليل سيأتي المهتم الأول. ذهب حتى مرآة الحمام ورتب
شعره قليلاً. أول موعد كان في السادسة. وعندما دق الجرس
ارتبك مايكل كثيراً تنحنح وعدل من جلسته في مكانه. نظرت إليه
ثم فتحت الباب مبتسماً.

- "مساء الخير! جئت من أجل الإعلان".

كان رجلاً مريح الملامح في الأربعينيات من عمره تقريباً، نحيلًا
يرتدي نظارات. أشرت له بالدخول.

- "هل ترغب في قليل من القهوة...؟" قلت له وأعطيته كوب
القهوة في يده. "هذا مايكل، تفضل!" ناديت على مايكل
وأجلسته على الأريكة. جلس الرجل مقابلتي. "هذا هو.

تعرفه بالتأكيد من المجلات والتلفاز".

- "نعم"، قال الرجل.

كان صوته ضعيفاً باهتاً يُسمع بالكاد.

- "اسأله أي شيء، لا تخجل!" قلت له مشجعاً.

ترك قهوته على المنضدة وتكلم.

- "أنت مايكل، أليس كذلك؟ أسمع موسيقاك منذ سنوات، وأشعر بتأثر كبير بالتعرف عليك... أعرف أنك قد مت، لكن هذا لا يشغلني".

- "إذا سمحت لي"، قاطعته، "لماذا تريد أن تأخذه؟".

- "أنا معجب به... لا أعرف بم أجيبك. سأعنتي أن يقضي أوقاتاً ممتعة معي"، قال الرجل وهو يبتسم على مضض.

- "حسناً!" قلت فجأة. "سأتناقش معه وسوف نتصل بك!".

لم أعط له مجالاً للمزيد من الكلام، وهكذا حياني مرتباً وغادر. هرعت نحو مايكل.

- "كيف بدا لك؟".

- "شخص جيد، لكنه ممل"، قال.

لم يكن مخطئاً. شربنا قهوتنا وانتظرنا الشخص التالي. دق

الجرس ثانيةً في الساعة إلا ربع. أسرع بفتح الباب فتفاجأت أن أربعة أشخاص يقفون أمامي. لم يحتج الأمر للكثير من التفكير حتى يفهم المرء أنهم عائلة واحدة. الأب والأم والابن والابنة. فتحت لهم بتردد فدخلوا مباشرة بجرأة غريبة.

- "أين هو؟ أين هو؟" صاح الأب وأشعل سيجارًا كبيرًا.

انبهر الأولاد وهرعوا لاحتضانه بينما راحت الأم تتأمل البيت.

- "اهدؤوا لا تفعلوا هذا!" قلت وشدت الولد والبنت البدينين من عليه.

انفجر مايكل في الضحك لكنني كنت غاضبًا من سلوكهم. في النهاية استطعت أن أهدئهم. جلسوا على الأريكة ينظرون إلى مايكل وعيونهم تلمع من السعادة. تكلم الأب:

- "لاتعرفون كم تحمسننا عندما رأينا الإعلان. لم نضيع لحظة... نحن نعشق مايكل، لن نفرط في هذه الفرصة".

- "أريده يا بابا!" قالت البنت بعينين بازغتين.

أشار لها الأب بالتوقف، لم يعجبه أنها قاطعته.

- "سيكون لديه ما يشاء معنا، المال ليس مشكلة على الإطلاق... كما أن منزلنا كبير جدًا وله حديقة كبيرة ولدينا حيوانات أليفة، لا يشبه هذه الحفرة هنا. أعني؛ معذرة... فكيف يبدو لك إذا سمحت لي؟".

لم أعرف كيف أجيبه، لكن شيئاً ما بدأ يثير عصبيته. بينما كاد ينفذ صبره منتظراً إجابتي، قامت الأم ولمست شعره، كي أكون دقيقاً، حشرت أصابعها في شعره وراحت تفحصه لبطح لحظات. ثم التفتت نحو الآخرين مبتسمة برضا، كما لو أرادت أن تقول إن شعره على ما يرام. أكمل الأب هذيانه:

- "معنا سيقضي وقتاً طيباً لن ينقصه شيء. ووقتاً تريد يمكنك أن تأتي لتراه. بيتنا دائماً مفتوح لك...".

لم أعرف ماذا أقول. كنت أجلس وأتابع هذه المسرحية. ربما كان الإعلان فكرة جيدة؛ مبدئياً كان لدي الانطباع أن الأمر لن يكون سهلاً. انحنى المرأة وهمست بشيء في أذن زوجها، فابتسم ابتسامة لها معنى. كنت مستعداً لطردهم وركلهم خارج البيت عندما حدث أمر غير متوقع. وقف مايكل وقال بصوت عال:
- "هيا بنا، أنا جاهز!".

صاح الأولاد من فرط سعادتهم وتبادل الزوجان الأحضان بفخر. وأنا بقيت مبهوتاً. نظرت إلى مايكل الذي كان يبتسم برضا هو الآخر كما لو أنه فاز بشيء بعد محاولات مضنية.

- "هل ستذهب مع هؤلاء؟" سألته هكذا دون أي اعتبار لوجودهم.
ضم الأب عينيه ونظر إلي بتريب وعبر عن استيائه من تعليقي.
- "نعم، إذا كان علي أن أغادر فمن الأفضل أن أذهب إلى عائلة"

قال مايكل بينما كان الأولاد يربتون عليه.

بالطريقة التي عبر بها عن مبرره البسيط، رأيت أنه محق. كان من المستحيل أن أفكر في الأمر هكذا. يمكن أن يكون أفضل هكذا. لماذا يبقى معي؟ سيموت من الضجر... قبل أن يغادر، حرص أن يأخذ معه دفتر قصائده، وقف في منتصف الغرفة ونظر إليها بحنين. لم أشأ أن أتأثر. من الأفضل أن يغادروا في أسرع وقت. هرعت وفتحت الباب كي تنتهي هذه القصة بسرعة. خارج المنزل بالضبط كانوا قد صفوا سيارتهم الكبيرة. وضعوا مايكل في المقعد الخلفي وتحركوا. بعد صوت ماكينة السيارة المزعج وتلويحات توديع عصبية، وقفت أمام الباب وحدي أنظر إلى الشارع الخاوي. رحل مايكل للأبد. وكان هذا قراري. عدت للداخل وصنعت القهوة. كان قلبي يتمزق. لقد فقدت صديقاً عزيزاً، رفضت عرض مايكل بنيل شرف العيش معه ليشارك حياته مع موظف بسيط في شركة استطلاعات رأي. أذنبت ذنباً لا يغتفر. لكن كان يجب أن أظهر سموً ونبلاً. لقد اتخذت قراراً ناضجاً والآن يتحتم علي أن أعيش بتبعات هذا القرار.

في الساعات التالية، وحتى التاسعة، جاء بقية المهتمين بالإعلان. رجل قصير جداً ربما قد مهتماً لإعلان آخر، هذا لو محقاً في الحكم على المقدمة التي قالها عن تاريخ انتهاء صلاحية المنتج المزعوم الذي جاء ليفحصه، رجل وامرأة قاما بإنشاء ملهى في المدينة، ورجل جاد شاب عصري قبل أن أشرح له أن مايكل لم يعد متاحاً

راح يحدثني باستفاضة عن درساته في كلية الفنون الجميلة في باريس. قلت لهم جميعاً نفس الشيء، اعذروني لإزعاجكم ولكن مايكل قد تبنته عائلة ثرية. في الليل، عندما غادر الأخير، كانت الوحدة قاتلة. فتحت التلفاز كي أشاهد فيلماً تافهاً، لكن عقلي كان معه، بالطبع. كم أنا رجل معقد... فيم كان سيضايقني لو كان في غرفته هادئاً؟ لم يسبب لي أبداً أي مشكلة. كان لطيفاً ووديعاً. وأنا؛ ماذا فعلت؟ طردته من بيتي. من يدري؟ ربما هو أكثر سعادة مع هؤلاء المضحكين وسيقضي معهم وقتاً ممتعاً. في العاشرة تقريباً دق جرس الباب. كان السيد مين، مثلما هو دائماً بأوراقه وأفكاره الجديدة عن شكواه ضد سلطات الحي. فتحت له الباب بصعوبة بالغة. كان يمस्क بقلم في يده ويشير به بفخر كما لو كان مايسترو يحرك عصاه بخفة وثقة.

- "وجدتها!" قال. كانت عيناه ممتلئتين بالسعادة.

- "يجب أن نكتب أن الحفرة التي فتحها عمال المشروع كان تستهدف زوجتي بشكل حصري!"

أكمل جملته وانتظر مني تأكيداً على إلهامه. لم أقل شيئاً حتى إنني لم أحيه. أغلقت الباب في وجهه وعدت إلى التلفاز.

تُرى ماذا سيفعل مايكل الآن؟ كيف يقضي أول ليلة مع هؤلاء المجانين؟ لم يكن لدي مزاج لفعل أي شيء، لم أرغب في الطعام أو النوم، لا شيء. كلما مر الوقت شعرت أكثر بالندم. وليس هذا

فقط. لم يكن لدي أي بيانات لهم، لم أحصل على رقم هاتفهم، ولا أعرف أين يسكنون. في خضم فزعي وعجلتي -لينتهي كل شيء بسرعة- تصرفت كبمتدئ، كأحمق لا يعرف عن الحياة شيئاً، لكن لم يمر على ذهني احتمالية ندمي. أهكذا بكل سهولة بعته؟ كما لو منحتكم مقعداً بالياً قديماً ليس لي به حاجة؟ اقترفت ذنباً لا يغتفر، هذا لا يحتمل الشك. لكن الوقت كان متأخراً. سأحتمل حتى أنسى... مر مايكل من حياتي كالبرق. علمني أن هناك أملاً، أراد أن يكون صديقي، عرفني أنني لست إنساناً انعزالياً مثلما أريد أن أصدق، واختفى كما لو لم يأت أبداً، كما لو كان حلمًا جميلًا وانتهى نهاية سيئة.

استلقيت على فراشي قبل منتصف الليل بقليل. الهدوء المربك والظلام الكثيف ألقيا بحجر آخر على قلبي. كنت مريضاً. نفسياً وجسدياً. ماذا فعلت بحياتي؟ ماذا كنت أريد، ماذا أردت من حياتي الملعونة؟ المؤكد هو أمر واحد: لم أكن أستحق مايكل، قدر ما أفقده، وبقدر ما يؤلمني غيابه. لحسن الحظ في نفس اللحظة كان لدي الشعور بعدميتي. نعم، كنت أعرف جيداً من كنت. قد خلقت للتعاسة والحزن بالقدر الذي يضمن الانهيار والدمار.

هل لم أكن أستحق عزلتي وظلامي؟ وألمي ولا عقاقريري النفسية، وكل تلك المعاناة؟ لكن عندما تحاول أن تمد يدك للآخرين، عندما لا تكون لديك رؤية لمن يعيش بجوارك، فأنت تدفع الثمن لا

محالة. هذه الأمور ليست للمزاح أو لتقضية الوقت. عندما كنت أهدأ بعض الشيء كنت أحاول أن أجد منطقاً -دون جدوى- لكل الوضع، كنت أتساءل لماذا اختارني أنا مايكل جاكسون. هذا لم أفهمه أبداً. لقد تحدثت عن هبة أو كاريزما، وأنتي كنت المختار. لم يكن أمامي سوى أن أقبل هذه الحقيقة، لكن وإن كان، لم يهدأ فضولي أبداً. والآن ازداد الفضول ولا سيما أنه غائب، كان تفكيرى الآن مرتباً وواضحاً؛ أتساءل كيف لم أر هذا منذ وقت طويل. جاءني مايكل، حسناً، لهدف ما، شيء ما خلف زيارته. لكن كيف لم أفكر في الأمر من البداية؟ طرق بابي بلا سبب وأراد أن يعيش في بيتي. هل كنت ساذجاً لأصدق هذه الرواية. أعرف لماذا جاء: جاء ليعطيني، ليشفيني من ذاتي غير المحتملة، ليشرق علي صباح مثل بقية البشر، ليشدني بعيداً عن الوحل، عن الهاوية التي كنت أرغب أن أضيع فيها، حالم بالانتحار، شخص سخي. لهذا جاء مايكل. وماذا فعلت أنا؟ طردته. طرده بسهولة، أرسلته إلى الجحيم بلا رحمة، هذا ما كنت عليه، هكذا تصرفت مع مايكل جاكسون بينما جاء هو بكل لطفه ودفئه يهدف لشفائي وتخليصي من أسوأ نسخة مني، نسخة كانت السبب في القوقعة الصلبة التي بنيتها بداخلي بدأب: كان هذا اختياري نحو الحياة. طردته، لقد طردته. منحته هدية لهؤلاء البدناء، لا أصدق ما فعلت...

نهضت وبدأت أضرب رأسي في حائط الغرفة. غضبي وحزني

وصلا لذروتها، صار دمي يغلي. كان يجب أن أستعيده. بكيت... أتذكر بوضوح الألم على جبھتي من الضربات، والدموع الحارقة على خدي، عندما سمعت صوت الجرس. في الحالة التي كنت فيها، كدت أموت من الخوف. كان الوقت بعد منتصف الليل، تضاعف قلقي بسبب حالتي تلك. سرت ببطء نحو الباب ووقفت خلفه. اقتربت أكثر من الباب وألصقت أذني على الباب. لم أسمع شيئاً. شعرت بعدم الارتياح، كنت في حالة سيئة، ثم حل هذا الأمر ليقضي علي تماماً. قررت أن أتحدث، لم يكن هناك معنى لأطيل مدى القلق.

- "من؟ من؟" سألت هامساً، لكنني كنت متأكداً أن صوتي كان مسموعاً في هدوء الليل المرعب. لكن لم يأتني رد. كررت مصراً:

- "من؟ تكلم"، قلت، وهذه المرة لم أسمع رداً.

لم يكن لدي اختيار سوى أن أفتح الباب. تنحنحت وأخذت نفساً عميقاً وفتحت الباب بشجاعة. صرخت من فرحتي: كان مايكل!

كان يقف على مبعده مترين من الباب الخارجي ينظر إلى السقف. فور أن رأني ارتسمت على وجهه ابتسامته البريئة المعروفة.

- "مايكل صديقي، هل عدت! أنا سعيد للغاية"، قلت له واحتضنته.

دخلنا وجلسنا على الأريكة. كان من الرائع أن يكون هنا مجددًا،
معي.

- "مايكل"، قلت له وأنا أنظر إليه مليًا، "كنت أريد أن أعتذر لك.
أنا آسف، لم أعرف ماذا أقول... أنا أحمق، لم يكن يجب أن
أدعك ترحل. كنا على ما يرام معًا...".

نظر إلي دون أن يتحدث. دفتر قصائده كان يظهر من جيبه.
رأيته وابتسمت.

- "قصائدك! لا تتخلي عنها أبدًا...".

قال مايكل بتلقائية:

- "لما لا تصنع لي القهوة؟".

قفزت من مكاني كي ألبى رغبته. كان لدينا الكثير لنتحدث عنه،
كاد الفضول يأكلني؛ لماذا ترك تلك العائلة؟ كنت أريد أن أعتذر
منه مرة أخرى عما بدر مني، لكي يفهم، ليشعر بياسي والعذاب
الذي عشته مع نفسي بعد ما فعلته. أحضرت القهوة واستكملنا
حورانًا. سألته، لم أطق الانتظار:

- "مايكل، ماذا حدث، كيف عدت؟ هؤلاء الناس كانوا متحمسين
جدًا لوجودك معهم... وأنت... وأنت بدوت سعيدًا. لكن لا تعلم
كم أنا سعيد ومتحمس لوجودك هنا مرة أخرى".

- "لقد عانيت كثيرًا معهم"، قال مايكل وأظلمت عيناه فجأة.

"ماذا تعني؟" قلت باندھاش وانتظرت منه أن يفسر.

- "في البداية كنا ندور من بيت لآخر حتى يراني أصدقاؤهم. بعد ذلك، ذهبنا إلى ميدان وتركوني هناك حتى يشاهدني الناس. هذه كانت البداية... بعد ذلك وضعوني في قطار ولمدة ثلاثة أشهر سافرنا في كل أوروبا، كانوا يجرجرونني من هنا لهنالك كما لو كنت فقرة في السيرك. عانيت كثيرًا معهم... في لحظة ما نجحت في الهرب منهم وجئت إليك ثانيةً".

نظرت إليه بريية.

- "ماذا تقول يا مايكل؟ لقد غادرت مساء اليوم... ما هذا الذي تقوله؟" هز هو رأسه، كأنه يتذكر كل ما مر به. "على كل، الآن نحن هنا، معًا، هذا هو الأهم".

تحدثنا ما يقرب من نصف ساعة ثم نمنا. لم أستطع أن أصدق هذا التطور السار للأحداث. فعندما كنت منهارًا ويائسًا، الآن أستعد لأهدأ وألطف نوم في حياتي. في اليوم التالي في العمل كانت الأفضل في حياتي، نسيت مواعيدي مع الطبيب. عودة مايكل كانت منبهاً بالنسبة لي، إنذارًا، علامة إلهية بأن كل شيء لم ينته، أن هناك أملًا خفيًا يتبقى للمستقبل. ربما بريق أو شعاع ضوء حل في ظلام وجودي الباهت منعدم اللون. اتصلت بالسيدة دينا وأعطيتها بعد التعليمات بطبخ طعام جيد لعدد أكبر من الأفراد.

ثم اتصلت بجو والسيد مين ودعوتهما ليأكلا معنا. كان يومًا مبهجًا يستحق وجبة طيبة مع الأصدقاء. في منتصف اليوم عندما وصلت للمنزل، كان كأن شيئًا لم يتغير: كان مايكل في مكانه المعروف، على الأريكة يكتب قصائد وينتظرنني.

- "دعوت السيد مين وجو للطعام. ستأتي السيدة دينا لتطبخ!" قلت له وهرعت لأخذ حمام بارد؛ كان الحر رهيبًا هذا اليوم. ابتسم مايكل مؤيدًا فكرتي، وبينما كنت لا أزال في الحمام سمعته يصيح من الخارج:

- "هل قلت إن السيدة دينا ستأتي؟".

- "نعم، ستطبخ لنا شيئًا شهياً، طلبت هذا منها!".

أجبت بصوت عالٍ كي يُسمع صوتي أعلى من الماء الجاري.

- "رائع، هذا رائع، هذا جيد!" هكذا قال مايكل وربما عاد إلى الأريكة حيث إنني لم أسمع صوته بعد ذلك.

جاءت السيدة دينا محملة بالمشتريات. همت للعمل مباشرة بعد أن رحبت بها. وكان مايكل مثل المرة السابقة يدور حولها ويتابعها أثناء الطبخ. لم يتأخر الأصدقاء. أحضر جو زجاجة نبيذ أحمر. السيد مين جاء بالطبع بأوراقه، علّه يحرر شكوى أخرى. كانت الأجواء مبهجة. جلسنا على المائدة ننتظر الطعام المفاجأة للسيدة دينا. بعد قليل ظهرت مسؤولة التغذية بصينية كبيرة.

كان المنظر مبهراً؛ صنعت الكثير من الأطباق، لحماً مشويًا وفطائر وأشياء أخرى فخرجت منا أصوات وهمهمات حماس مثل أطفال صغار. لا أتذكر متى أكلت بهذه الشهية. استمتعت بصحبة الأصدقاء واستمتعت أكثر لأنني لأول مرة كنت أقدر حضورهم، ربما لم أكن شخصًا وحيدًا في النهاية مثلما كنت أعتقد. أحيانًا كنت أشعر بالذنب عندما كنت أستمتع بصحبتهم في مساء عادي. كنت أضع العراقيل أمام نفسي. ماذا أفعل أنا بين كل هؤلاء الأحياء؟ كنت رغبة مشتعلة للانتحار، التجسيد الكامل لألم الطبيعة البشرية. حسنًا، كان محض حماقة أن أضحك وأستمتع مع الذين اختاروا الحياة مقابل الموت، العيش مقابل الفناء المهين. لكن ها أنا الآن أشارك بكل قلبي في هذه الوجبة الجميلة. مذاق أطعمة السيدة دينا كانت تدخل في أحشائي باشتياق بينما أرى أمامي الوجوه الطيبة المبهجة لجو والسيد مين وبالطبع قبلهم عزيزي مايكل، الهدية الإلهية التي وصلتني كي أنجو من تدمير الذات. السيدة دينا جلست على الأريكة تتابعنا ونحن نأكل، في كل مرة أدعوها لتأتي بجوارنا وتأكل معنا كانت ترفض بإصرار. انتظرت حتى ننتهي من الطعام كي تغسل الأطباق.

عندما انتهينا انتشرنا في أماكن متفرقة في الغرفة. السيد مين جلس على المقعد ويختلس النظر نحو أوراقه، جو فتح التلفاز وراح يبحث عن برنامج يهمله. أنا على الجانب الآخر لم أكن أجتاح أي شيء كي أكون سعيدًا. كان يكفيني أن كل شيء عاد إلى موضعه، أن الحياة اليومية عادت إلى إيقاعها المرضي. بينما

كنت في وسط أجواء الخمول المسائي، لاحظت شيئاً غريباً على وجه مايكل. لم أكن مخطئاً، إذ رأيتَه يشير إلي بشكل غريب كي أذهب إليه ليقول لي شيئاً. انزوى بي جانباً حتى لا يسمعونا وقال لي بتوتر عجيب:

- "تعجبني كثيراً السيدة دينا...".

لم أصدق أذنيّ.

- "ما هذا الذي تقوله؟ هل جننت؟" قلت له، لكنه أكمل بنفس النبرة.

- "تعجبني كثيراً أقول لك، أريد أن أضاجعها كالمجنون...".

- "يا مايكل، أفق! ماذا حل بك؟ السيدة دينا سيدة كبيرة في العمر. ألم تجد غيرها؟".

- "هذا لا يعنيني، فهي مثيرة جداً!" قال مايكل وهو يختلس النظرات نحو المطبخ.

- "من فضلك، لا تكمل. ابحث عن امرأة أخرى، الأمر ليس بهذه الصعوبة"، قلت له بإصرار لكن لم يكن يبدو أن لديه أي استعداد للاقتناع بما أقوله.

- "ماذا تقول؟ هل رأيت مؤخرتها؟" قال هو.

لقد زاغت نظراته. راح ينظر إلي تارة وإلى باب المطبخ المفتوح

تارة أخرى. كنت أشعر بالرعب من هذه الحالة غير المتوقعة.

حاولت أن أتمالك نفسي كي أهدأ.

- "يا مايكل، إنها امرأة مسنة. لو تعجبك، حسنًا، لن أصادر على ذوقتك، لكن هذه امرأة مسكينة وليست لمثل هذه القصص، انظر إليها، هي مجرد أرملة بسيطة...".

- "هذا أفضل"، تتمم مايكل ودون أن يكمل حوارنا توجه نحو المطبخ.

ركضت خلفه قلقًا. لم أعرف ماذا علي أن أفعل. كانت السيدة دينا لا تزال تغسل الأطباق. رأتنا، مايكل وأنا خلفه أتبعه فابتسمت.

- "رأيت أن الطعام أعجبكم!" قالت بسعادة، دون أن تتوقف عن عملها.

- "نعم"، قلت فجأة وبقلق شديد، "في الحقيقة كان رائعًا جدًا".
اقترب منها مايكل.

- "أريد أن نتحدث... أعتقد أنني أحبك"، قال لها.

فتحت المرأة فمها وبقيت هكذا لبضع لحظات. كان الماء يجري من الصنبور. لم أقل شيئًا. انتظرت الانفجار. لم يتحدث مايكل ثانيةً كما لو كان ينتظر رفضها. لم أكن أرغب في أن أكون في هذا الموقف، كان خجلي لا يوصف. بعد قليل، قالت السيدة دينا

وهي تجفف طبقًا كان بين يديها:

- "يعني، كيف تحبني؟ فأنت لا تعرفني!".

كانت نبرة صوتها غريبة. لم يظهر عليها الغضب أو الدهشة كما هو متوقع.

اغتمم مايكل الفرصة وأكمل:

- "أنا أريدك من اللحظة الأولى التي رأيتك فيها. أنتِ المرأة التي كنت أنتظرها طيلة حياتي".

عدت إلى الصالون مع جو والسيد مين، لم أكن أحتمل مشاهدة هذا المشهد أكثر من هذا. جلست صامتًا بجوار جو الذي كان يقهقه على شيء شاهده في التلفاز وراح يحثني أن أتابع البرنامج معه، فتعاملت ببلاهة لكن عقلي كان في المطبخ. السيد مين كان في عالمه الخاص كالعادة، كان يكتب شكواه في صمت ولم يهتم بما يحدث حوله. بينما كنت أبحث عن وسيلة كي أصلح الوضع وأعتذر للسيدة دينا، رأيتهما يخرجان معًا بعد بضع دقائق. كان على وجههما تعبير غريب. فقال مايكل:

- "نحن سنذهب في جولة ولن نتأخر!".

لم يجبه أحد. حتى السيد مين رفع نظره عن أوراقه وألقى عليهما نظرة مليئة بالتساؤلات. وجو أيضًا نظر إلي كما لو كان يطلب مني تفسيرات. لم يكن لدي ما أقوله. تركتهم وذهبت لأصنع

القهوة. كنت أتصيب عرقاً، كان الحر شديداً ويتساقط العرق من جبهتي. نظرت من النافذة الصغيرة التي تطل على الشارع المنفرد أمامي. كان المكان يبدو شاحباً من شدة الحرارة، ربما كانت أكثر أيام الصيف حرارة.

الدَّيْن

قبل بضع سنوات وعندما كانت الحياة تضرب على أوتار العذاب والفشل بلا رحمة، اقترضت نقودًا من بعض الناس. أردت أن أسد بعض الفواتير وأن أرتب بعض الديون التي أغرقتني وبسببها فقدت نومي. المبلغ الأول التي اقترضته كان من صديق جيد، رجل مثقف أحب وأعجب به لذكائه وسعة روحه ومعرفته. قبلت لفتته النبيلة بسعادة وارتياح، إذ إنه كان من اقترح القرض في البداية، أما أنا فكان من المستحيل أن أجرؤ على طلب أي قرض. أتذكر أنني كنت أجلس أمامه على مقعدين كبيرين أبيضين نتحدث في أمور مختلفة تسرنا وبخاصة أمور تتعلق بالفن والفجور. كان الحوار يسير بسلاسة. بين الحين والآخر كان حوارنا المهدب يتخلله بعض التعليقات الصريحة المجاملة التي كنا نتبادلها فيما بيننا، ولكن أيضًا تعليقات مضحكة عن الحياة البائسة لبعض من أصدقائنا المشتركين. للحظة، كان تماسك هذه الساعات تتخلله الشقوق إذا كان وجهي يظلم تدريجيًا وينحدر نحو الحزن التام حتى ينتهي بي الأمر أنا المسكين ألا أستطيع أن أسند رأسي إلى المقعد. ارتبك صديقي وأصابه القلق كثيرًا وبلا أي تأجيل وبحب مؤثر نحو شخصي أراد أن يعرف ماذا يحدث معي. حينها قلت له الحقيقة، إنني لا أنام منذ فترة وإن قلقًا كبيرًا

قد أصابني لأنني في حاجة إلى المال، وهناك ضرورة قصوى أن أعطي بعض المصاريف التي لا أستطيع أن أسدها بدخلي الضئيل الذي يكاد يكون منعدماً. لم يتركني صديقي أفكر وأغرق في الحزن. قال لي إنه سيعطيني المال وقد غضب كثيراً لأنني لم أقل له هذا الأمر مسبقاً وبقيت أعاني بلا سبب في مشكلة تافهة تتعلق بالمال كهذه. في الحقيقة، عندما سمعته يعرض علي المبلغ الذي كنت أحتاج إليه، تنفست الصعداء وعدت إلى الحوار بمزاج رائق وذهن حاد. كنت ألوح بكلتا يديّ بسعادة وعيناوي تبرقان من الرضا والسرور، بعد قليل أكلت رغيفاً كاملاً من الخبز من فرط سعادتي.

عندما عدت إلى البيت، بدأت في عمل الحسابات. بهذا المبلغ الذي اقترضته كان يمكنني أن أدفع الفواتير المتأخرة، بل وأرتب بعض الشؤون المتعلقة بالضرائب وهو الأمر الذي كان يسبب لي الكثير من القلق تلك الفترة ولا سيما بعد حالة الغضب المريع التي كان فيها محاسبي الذي أذرنني وتوعدني بأسوأ العواقب، سددت أغلب الفواتير وتركت مبلغاً من المال جانباً حتى أستطيع أن أعيش الفترة القادمة بارتياح نوعي. لم تكن لدي أموال أخرى. في كل مرة أبحث فيها عن عمل كانت كل محاولاتي تبوء بالفشل. بعض الأعمال البسيطة التي كنت أقوم بها كانت تؤمن لي دخلاً ضئيلاً جداً كنت أنفقه في مشتريات حمقاء مثل الأغذية والملابس الرخيصة.

عندما سددت ديوني من القرض الذي أخذته من صديقي العزيز
مرت الأيام التالية بشيء من الهدوء المبهج. النقود القليلة التي
بقيت كانت كافية كي أقضي اسبوعًا بلا قلق أو توتر لمستقبلي
المادي على المدى القريب. لكن يومًا ما، ألقى ساعي البريد من
تحت الباب خطابًا رسميًا من الدولة مفاده أنني مدين للدولة
بمبلغ كبير من المال نتيجة انحرافات عملية للمحاسب الأحمق
الذي كان يدعي لسنوات أنه محاسب عظيم. تلك الانحرافات التي
كلما حاولت أن أبررها أنا والمحامي لم يكن ممكنًا أبدًا وهكذا
كنت على شفا خطوة من السجن. بينما كنت منهارًا خرجت أسير
في شوارع المدينة يمينًا ويسارًا كالشبح بلا وجهة حتى وصلت
كالمشدهو إلى بيت ابن عمي. فور أن فتح لي هرعته وتقوقعت
في فراش غرفة النوم. كانت زوجته امرأة نبيلة، اندهشت أمام
هذا المشهد المضحك وبالطبع بقي أن أشرح لكليهما ماذا يحدث
معي وعن المصيبة التي وقعت فيها ووضعها البائس.

لم أستطع أن أخفي الحقيقة. على الجانب الآخر لم أكن أرغب
أن يفهموا أنني جئت إليهم عن قصد أملًا في مساعدتهم. أعطيتهم
الشروحات اللازمة وحينها جلس ابن عمي على المقعد ينفث
كالثور. كنت أبكي تقريبًا من قلقي في فراشه وفي الوقت نفسه
أختلس النظر نحو شق قميص نوم زوجته حيث بدا جزء من
أردافها. ابن عمي كان مضطربًا بشكل واضح من حالتي فقال لي
أن أتبعه لنجلس معًا في الغرفة الداخلية كي نتحدث عما نستطيع
أن نفعل في هذه المشكلة. منهارًا سرت حتى أريكة الصالون

وسقطت بغشم متفوقاً عليها كما يغطس المرء في بحيرة راكدة فيخلخل هدوء اللحظة. هذا الرجل الرائع وعدني بشيء جعلني أصيح من الفرحة، أنه سيبيع إحدى قطع الأراضي التي يملكها في الريف القريب - لا يهم، قال، لقد حان الوقت، وأنه لا يحتاجها على أي حال- وسيعطيني المال الذي أحتاجه كي أتخلص من هذا الدين الثقيل وأعود وأقف على قدمي مرة أخرى. نهضت على الفور متأثراً وأحتضنت هذا الشخص الفريد؛ كانت فرحتي لا توصف بمبادرته تلك.

في الحقيقة بعد أسبوعين أو ثلاثة كنت قد نجوت بالفعل من هذا الكابوس. بيعت الأرض فعدت إلى هدوئي مجدداً. كنت سعيداً. بالرغم من هذا لم يكن لدي سيولة، قليل من النقود حتى أستطيع التحرك على الأقل. وبروح نفسية عالية قفزت حتى منزل أمي واخترعت قصة أن ثمة خطأ حسابياً اضطرني لدفع مبلغ كبير من المال. فطلبت منها أن تقرضني مبلغاً حتى أتقاضى راتبي من عمل قديم تأخروا في دفع المقابل لي - هكذا قلت لها، لكن في الحقيقة لم أكن في انتظار أي راتب. بعد كل تلك الديون فكرت لأول مرة أن أعمل. وهو ما لم كنت أرغبه بأي طريقة، لكن ربما هذه المرة لم يكن هناك سبيل للتهرب. وجدت إذناً عملاً في مكتب أحد الأصدقاء الذي كان يعرف أنني لا أستطيع أن أتعامل مع ظروف العمل الصعبة وهكذا حرص أن أعمل ست ساعات فقط في اليوم، في حقيقة الأمر لم أكن أفعل شيئاً مهماً، سأضع بعض البيانات على الكمبيوتر التي أتلقاها من العملاء.

أول أسبوع كنت أهب للمكتب سعيداً. كانت هناك فتاة يربكني جمالها. فكانت الساعات الست تمر بسلاسة الماء دون أن أشعر بالوقت. إلا أن الظروف بدأت تتغير في الأسبوع التالي، الروتين الصباحي أيقظ داخلي رغبة التمرد. لم أكن أنا مخلوقاً كي أكون موظفاً. وهذا الراتب الضئيل ماذا كان سيضمن لي أكثر من شراء بعض الاحتياجات الأساسية وتغطية بعض المصاريف اليومية؟ وبخاصة كيف كان سيساعدني لأجمع المبلغ الكبير الذي أدين به بالفعل لآخرين. في منتصف الأسبوع الثاني، ولم يكن لدي بالفعل أي نقود ولم يكن الشهر قد انتهى، طلبت أن أرى صديقي الذي قلت له بكل وضوح إنني لن أستطيع الاستمرار في العمل. كان استياؤه كبيراً. راح يحرك رأسه وأخرج بعض النقود ليدفع لي الأيام التي عملتها، طلبت منه بلا خجل أن يعطني أكثر، وسأعيدها له فيما بعد. لم يعجبه طلبي كثيراً لكنه أعطاني ما طلبت. عدت إلى البيت متحمساً ممتلئاً بالتفاؤل. لا يمكن، ثمّة شيء سيتغير في مستقبلي القريب، ثمّة مفاجأة سارة تنتظرني على قارعة الطريق، فقد كان من المستحيل أن أصطدم بسوء الحظ دوماً. بالفعل كان هناك ضوء شحيح يلوح في الأفق. أجلاً أم عاجلاً ستتبدل حياتي، غريزتي لا تخدعني.

لكن جاء ذلك اليوم الملعون ومزقني تماماً. بينما كنت نائماً في هدوء وسكينة أحلم بمستقبل سلس ومتناغم تحولت إلى كائن مضيء سمعت طرقات على الباب، واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة على التوالي وعندما لم أفتح على الفور، دق الجرس. تبدد

نومي المنتظم. وعندما فتحت الباب رأيت وفهمت أن عذاباتي لن تنتهي أبداً. أنا منحوس تماماً، صرت متأكداً من هذا. صدر أمر بالقبض علي. كنت أدين، كما يقول، للضرائب وللبنوك ولن تكون العواقب جيدة. اقتادوني إلى زنزانة عفنة. جف فمي وحلقي من العطش والحزن. لم أكن أعرف إلى متى سأظل هناك. ثم بعد بضعة أيام، جاء أخي لزيارتي وشعرت بخجل شديد عندما رأته يائساً وحزيناً يحاول جاهداً أن يعدل من مزاجي.

مرت السنوات وشروط اللعبة بقيت كما هي. ديني صار كبيراً جداً وأنا لم أعد ذلك الشاب الجميل القوي، لكن عجوز ممل ومنهك يتوسل ويتسول الاقتراض من هنا وهناك. يعطونني مرة ويمتنعون مرة أخرى، يربتون على كتفي مرة وأخرى يبصقون على وجهي، وهذا التبديل دمروني تماماً. لم أعد أتذكر متى بدأ هذا الكابوس اللعين لكن لم يعد يهم؟ لكن أشعر بالأسف أنني بددت حياة كاملة غارقاً تحت شفقة الآخرين، أسوأ نسخة من نفسي. في النهاية، كنت طفيلاً صغيراً، ربما سحلية لطيفة كان يكفيها الزحف ومحاولات إثارة أسوأ المشاعر: الشفقة. حتى أهدئ الألم وأستغرق في واقع جديد مبدلاً الحقيقة الواضحة أتخيل أن ذات مرة، الحياة التي عشتها كانت تجربة كبيرة، لعبة تحمل على حدود الكرامة. ليس لدي فكرة كيف اصطفيت لهذا، وكيف وصلت إلى هذا الحد الوضيع المهين المتمثل في اعتقاد أنني وصمت بهذا وأن لكل شيء هدفاً، كنت أعاني لأن الخطة وضعت في غيابي. إنهم يعرفون ماذا يفعلون هؤلاء الذين يحاصرونني،

كل شيء كان مدروسًا، ليس هناك كارما، لكن هناك سقطت في
الفخ والانهيار، كانت مسألة وقت؛ كنت ذكيًا لكن ليس بالقدر
الذي يجعلني أنجو. الغضب الأكبر الذي ولد بداخلي كان هو أنني
لم أستطع أبدًا أن أعيش بعيدًا عن اللعنة، أن أستيقظ ذات صباح
بمزاج عادي وقهوتي في فمي لها الطعم المطلوب، حتى لا أغرق
في القلق كالقمامة على أطراف الأرض تحت رحمتهم جائعًا
متسولًا شفقة العالم.

5

استعراض
مايكل الكبير

عاد بعد ساعة تقريباً دون السيدة دينا. جو والسيد مين كانا قد غادرا بالفعل، كان يتلألاً من السعادة. تمدد على الأريكة واستلقى تقريباً واستند برأسه إلى الخلف. نظرت إليه متفحصاً دون أن أتكلم أو أبدأ في طرح الأسئلة وجلست أمامه متظاهراً باللامبالاة. استغرق هذا نصف ساعة على الأقل حتى نهض يبحث عن دفتره وحينها سألته:

- "حسناً؛ كيف كان الأمر؟".

- "أي أمر؟" أجاب مدعيًا اللامبالاة.

لكنني أصررت.

- "مع السيدة دينا أعني... قضينا وقتاً طيباً"، قال متفادياً النظر إلي.

- "يعني ماذا حدث؟" سألت مرة أخرى، دون أن أعطي أي مجال للمراوغات.

- "ذهبنا إلى بيتها ومارسنا الحب".

- "حقيقة يا مايكل، هل حدث شيء كهذا؟" قلت له بصرامة لكن لم أر أنه ارتبك على الإطلاق.

- "إيه ماذا؟ هل نحن أطفال؟" قال بنفس النبرة وفتح دفتره

على صفحة آخر قصائده.

- "ماذا سيحدث؟ أنا لا أقيم علاقات، قلت لها هذا بوضوح. لو تكرر هذا مرة أخرى، سنرى"، قال بارتياح.

كان غير مجدٍ أن أصر على هذه السخافة. فقد كنت سعيداً على أي حال أن مايكل موجود، هذا كان أهم ما في الأمر، وبالتالي قررت ألا أسترسل في القصة المضحكة للسيدة ديننا، كنت سأقرر من موقفها. تركته ينشغل بقصائده ورحت أقرأ جريدتي. أخبار سيئة: "صعود للفاشيين في عموم البلاد". لا يهم، أجلاً أم عاجلاً سيأتي شخص يدوس على هذه الطفيليات. استمرت الأخبار السيئة: "تأخر في رحلات الطيران من وإلى فانكوفر". لكن أين سينام كل هؤلاء الناس في المطارات؟ وفي النهاية خبر جيد: "أنقذوا آكلات النمل المحاصرة في مصعد في حديقة حيوانات في أوزبكستان". لم أكن أعلم أن آكلات النمل تستخدم المصعد. حتى قراءتي للجريدة براحة بال كان مكسباً كبيراً لي. قبل وصول مايكل، لم أكن أستطيع أن أفعل ما يفعله أي شخص طبيعي. خلال أيام قليلة كنت قد تحولت إلى رجل رزين لا تسيطر عليه المخاوف والرهاب والهواجس وقبل كل شيء دون الاعتماد المباشر على طبيبي. على الجانب الآخر، عرفت أنه لا يزال أمامي طريق طويل لأقطعه كي أتخلص تماماً من تشاؤمي المرضي. فكرة الانتحار تركت لدي إحساساً معسولاً بسعادة ممنوعة، مثل حلوى لم أجربها ولا تزال محفوظة على أحد رفوف المطبخ.

في اليوم التالي في العمل أحضروا دراسات واستطلاعات جديدة كانت تحتاج إلى ترتيب، وهكذا غطست حتى رأسي في ترتيبها حتى آخر الظهر، حتى إنني لم أفهم كيف مر الوقت. عند عودتي وجدت مايكل قلقاً. عندما جلست لألتقط أنفاسي وأشرب قهوتي كان يعد بدأب صفحات دفتره وهو يتمم قصائده. كان يدون بعض الأشياء بالقلم الرصاص ثم يمحو بعض السطور ويضيف بعض الأبيات حينما يترأى له.

سألته: "ماذا بك؟".

كان لطيفاً للغاية بغض النظر عن القلق الذي يملكه والذي لم أفهمه.

- "لقد انتهيت من المجموعة الشعرية!".

- "بالفعل؟ بهذه السرعة؟" قلت مندهشاً وتركت فنجاني على الطاولة.

- "اسمع، يجب أن تساعدني في نشرها، هذا الأمر مهم جداً بالنسبة لي. أنا واثق من أنك تعرف بعض الأشخاص الذين يمكنهم القيام بهذه المهمة".

فكرت قليلاً. ثم قلت:

- "نعم يا مايكل، أعرف بعض الأشخاص الذين يمكنهم أن يلقوا نظرة على القصائد... لكن لا يمكنني أن أعدك بشيء، يجب

أن تعجبهم، الأمر ليس بهذه السهولة...".

لم يعجبه ردي. قام وتوجه نحو المكتبة.

- "لكن لماذا لا يكون سهلاً؟" قال ووقف بجوار الكتب. "انظر كم من الكتب لديك هنا... لماذا أنا لا؟" قال معترضاً كما لو كنت قد رفضت كتابته.

- "يا مايكل، لم أقل لك إن الأمر مستحيل الحدوث، لكن ببساطة لا أستطيع أن أعدك، أنا لست ناشراً. هذا بالإضافة إلى أنني لم أقرأ كلمة من قصائدك".

سحب كتاباً بشكل عشوائي من على أحد رفوف المكتب، تأمل الغلاف قليلاً ثم قرأ بصوت عالٍ:

- "ذيميتريس سوتاكيس، الرجل الذرة. ما هذه الحماقات؟ هل تقرأ هذا الهراء؟ لماذا لا أستطيع نشر مجموعتي الشعرية؟".

تحدث بحدة وكأن بهذه الطريقة سيكون من السهل إقناعي.

- "قلت لك سنرى، لا تتصرف بهيستيرية. وفي البداية دعني أقرأ، لتكون لدي صورة وفكرة، لأعرف عمّ نتحدث... "قلت له هذا وحينها هدأ.

عاد إلى الأريكة وارتسم على وجهه تعبير يشبه الرضا من موقفني. وعدته أيضاً أنني سأعتني بالأمر في أسرع وقت ممكن، لم أشأ أن ينزعج لأمر كهذا.

في المساء كانت لدينا زيارة غير مرتبة من السيد مين. لم نتفاجأ بالطبع من حضوره فقد كان يأتي كل يوم، لكن هذه المرة دخل وبالكاد وصل إلى الأريكة ثم سقط عليها منهارًا فاتحًا فمه وعيناه تنظران إلى المدى. كان يمسك بطنه ويتنفس بصعوبة. هرعنا نحوه.

سألته: "ماذا بك؟".

بدا على مايكل الذعر. السيد مين تنهد وحاول أن يتكلم، وبالرغم من أن صوته سُمع مستنفدًا من اليأس.

- "لن نصل إلى شيء. تحدثت مع المحامي. شرح لي تكاليف رفع القضية وتكاليف المعركة القضائية... إنها ضخمة... لقد خسرت لا محالة. السلطة المحلية ستدمرني وتهزمني شر هزيمة. ماذا أفعل، أنا مواطن عادي؟ ليس لدي نقود لأعيش...".

- "لكن يا سيد مين"، قاطعته، دون أن أفهم الكثير، "ما الذي تغير من الأمس؟ ما الذي حدث وأصابك اليأس فجأة؟".

- "ماذا سيحدث لي...". بدأ يستعيد نفسه. رفعناه وجلس بوضعية صحيحة في مكانه وأسند ظهره. "فكرت أن ألتقي بمحام حتى لا أبني أمالاً واهية مع تلك المحاضر والشكاوى. فربما لن أحقق الكثير لحالي. المحامي رجل طيب، لا شك في هذا... أخبرني أنه لو لم آخذ الأمور بجدية، أي إذا لم يمثلني

شخص بجدية، من الأفضل أن أترك الأمر برمته. والأسوأ لم يكن أنه أخبرني بكل هذا؛ بل هو محق. وفي النهاية فهمت أنه ليس هناك أمل بالنسبة لي؛ لأن الأمر يحتاج إلى أموال كما قلت لكم...".

كانت هذه أول مرة أراه في حالة كهذه. لم أعرف ماذا أقول له. جحظت عينا مايكل الذي اندهش كثيراً من حالة جارنا.

- "سنفعل شيئاً"، قلت، وهو بالطبع لا يعني أي شيء على الإطلاق.

قمت ورحت أتمشى في الصالون ربما أجد شيئاً ذكياً أطرحه. جلس مايكل على أحد المقاعد صامتاً يراقب المشهد. السيد مين طأطأ رأسه، أو للدقة؛ كان رأسه ملقى على صدره كما لو انخلع من مكانه وعيناه شديداً الاحمرار بالرغم من أنه لم يكن يبكي في تلك اللحظة.

- "ما هو المبلغ المطلوب؟" سألت.

تغير وجه السيد مين. انتظر بضع لحظات ثم أجاب:

- "المبلغ كبير...".

تحرك مايكل قليلاً وذهب ليجلس بجواره. بدافع غريزي نظر إليه السيد مين بنظرة مليئة بالأمل. حينها ربت مايكل على كتفه وقال:

- "أريد أن أساعد، أنا حزين جدًا لرؤيتك في هذه الحالة..."

- "هل ستعطيني النقود؟"

ظهرت ابتسامة مستريية على وجهه الكئيب.

- "ليس لدي المال، لكن سأفكر في شيء... " أضاف مايكل

وبعد تعليقه هذا لم أستطع أن أكون بعيدًا عن الحوار.

- "ماذا ستفعل يا مايكل؟ هل فعلاً ليس لديك مال؟" قلت

بفضول مبالغ فيه.

- "كان لدي أموال دائماً، لم يكن المال مشكلة بالنسبة لي أبداً.

لا يمكن، ستأتيني فكرة ما..." أجاب مايكل بصوت خفيض

وترك دفتره على المقعد.

- "افعل شيئاً يا سيد مايكل، أنا في مشكلة كبيرة"، قال السيد

مين متوسلاً.

في الحقيقة لم أكن أعرف فيما كان يفكر.

- "ربما... لو أحييت حفلاً موسيقياً".

- "حفلاً؟ حقاً؟" قلت بحماس خفي، لكن في الوقت نفسه

بحزن غير مفهوم. ثم أضفت: "وأين ستقيم الحفل؟".

- "من أين لي أن أعرف؟ ربما في نيويورك..." أجاب مايكل.

السيد مين لم يكن متأكدًا ماذا يعني كل هذا.

- "مايكل، كيف ستقيم حفلًا في نيويورك؟ هل الأمر بهذه السهولة؟ في البداية، الأمر يحتاج إلى تنظيم كبير، بالإضافة إلى وقت طويل. وكما ترى، فإن السيد مين في عجلة من أمره، وهذا ما أوضحه له المحامي..." قلت له فعاد إلى أرض الواقع على الرغم من أنني كنت منبهراً بعرضه للفكرة.

على الجانب الآخر كان السيد مين في حالة يرثى لها. كان المخاط يسيل من أنفه ومنظره بشكل عام كان محزنًا للغاية.

- "حسنًا، ربما من الصعب أن يحدث هذا في نيويورك. ربما في لندن..." قال مايكل مجددًا وطلب قهوته.

لم أجهه كي أجعله يفهم أن ثمة منطقتًا يغيب عن كلامه. عم هدوء حيوي لبضع دقائق حتى صحت فجأة:

- "وجدتها! سنقيم الحفل هنا، هذه فكرة أفضل!".

- "أين هنا؟ في المدينة؟" سأل مايكل.

لم يفهمني.

- "لا! هنا، في البيت!" قلت وشعرت بتألق تام من الإلهام الذي جاءني.

انتظر مايكل كي أشرح وأحلل فكرتي. السيد مين على العكس،

كان ينظر إلينا ببلاهة، في هذه اللحظة لم يكن لديه أي تواصل مع الحوار. حاولت أن أشرح لمايكل فكرتي فيما يخص الحفل الموسيقي.

قلت:

- "ظهور لك هنا، في البيت، لو تم الإعلان عن الحدث بشكل صحيح، سيدر أموالاً كثيرة. لن يحتاج الأمر لتذهب إلى لندن، وستحل أزمة السيد مين".

بدأت الفكرة تعجبني بشكل كبير حتى إنني رحت أرتب التفاصيل في رأسي للحدث الكبير. لم يجب مايكل، ربما كان يفكر في الأمر. وضع شفا الفنجان على فمه وتركه لبضع ثوانٍ. السيد مين لم يفهم أي شيء، راح ينظر إلي تارة وإلى مايكل تارة أخرى منتظراً منا أن نشرح له.

- "لم أحي حفلاً موسيقياً في البيت من قبل، ولا أدري كيف يمكن أن يكون"، قال وانتهى من قهوته. "هل تعتقد أننا سننجح في هدفنا؟ إن البيت صغير".

- "في الفناء سنقيم الحفل، يوجد المكان!" أجبت.

مع قليل من الدعاية، بالتأكيد سيأتي البعض، كنت متفائلاً. أعجبت مايكل الفكرة، لكنه ظل يفكر. حاولت أن أزيل شكوكه.

- "لا تقلق، كل شيء سيسير على ما يرام، سأعنتني أنا بهذا.

سنقول لكثير من الناس. لكن الأمر الأساسي هو أن نجمع المال للمحامي، الذي لا يحتاج لثروة!" قدمت عرضي وفكرتي فابتسم مايكل معجبًا بخطتي.

- "حسنًا، لن أقول لا، ففكرة الحفلة كانت فكرتي بالأساس. لكن يجب أن تتم بشكل صحيح، مر وقت طويل على ظهوري و...".

- "كل شيء سيحدث كما ينبغي، لا تقلق... دع هذا لي!" قلت له بحماس وعلى الفور حاولت أن أنقل الأخبار للسيد مين، الذي كان يسمع دون أن يفهم شيئًا.

- "حسنًا، إن ما نقوله هو التالي: إن مايكل مطرب مشهور. سننظم حفلًا هنا، في بيتي، نظير تذكرة وسنعطيك دخل الحفل كي تدفع للمحامي. هل أنت سعيد؟".

السيد مين سمع الأخبار بشيء من العصبية. ثم قال:

- "نعم، بالطبع. أشكركم... حفل موسيقي؟ حقيقة؟ وهل سيأتي أحد ليشاهده؟" سأل بتردد وفي صوته نبرة خجل.

- "نعم إن مايكل أسطورة، بالتأكيد سيأتي الكثير من الناس"، قلت ومن ثم حرك السيد مين أكتافه كما لو أراد أن يقول لي إنه يثق بي وإنه لن يتدخل في الأمر.

وكما أراد أن يعبر عن امتنانه ويظهر اهتمامًا أكبر بظهور

مايكل القادم، فسألني:

- "ومتى سيكون الحفل؟".

- "قريباً. سنتناقش ونرى متى!" أجبت ثم غادر جارنا سعيداً
ووجهه يعتليه قدر لا بأس به من عدم الثقة.

تحدثنا في الليل باستفاضة مع مايكل حول الحفل الذي سيقام في فناء بيتي بعد أسبوع من اليوم، اعتقدنا أنه وقت كافٍ كي ننظم ظهوره بعناية. في البداية اتفقنا أنه ليست هناك إمكانية إيجاد موسيقيين ولهذا سيغني [بلاي باك]، أي إنه سيقدم عرضاً راقصاً مع موسيقى مسجلة. في البداية لم تعجبه الفكرة، لكن لم يكن لديه اختيار. كنا في موقف صعب ولم تكن الظروف مواتية لتنفيذ الأمر باحترافية. كان لدي جهاز ستريو وكنت سأقترض من جو السماعات الكبيرة وهذا كان سيساعد في قوة الصوت. سيرتدي بنطلونه الجلدي وقميصه الأبيض لكن كان يجب أن نغسله جيداً استعداداً لليلة الكبيرة. لن تكون تذكرة الحفل غالية، ربما ستكون قيمته ما يعادل تذكرة سينما حتى نحث الجمهور على الحضور. بالطبع كان علينا حل موضوع الدعاية الذي لم يكن تفصيلاً عابرة. انتهينا إلى أن نصنع مئة أفيش، هناك مطبعة في الجوار يمكن أن تنفذها لنا بسعر جيد. أكدت على مايكل أن يبدأ من الغد بعض البروفات فالأمر هام جداً. وهو ما حدث، في

مساء اليوم التالي وضعنا أسطوانة موسيقية وراح يصمم بعض الرقصات أمامي. كان رائعًا وفي حالة جيدة. طيلة الأسبوع -ولا أحتاج أن أقول- إننا لم ننشغل بشيء آخر. حصلت على إجازة يومين من المكتب كي أرتب موضوع الأفيشيات الدعائية. البوستر الذي صنعناه لم يكن سيئًا على الإطلاق؛ كانت صورة مايكل بملابس فاقعة وهو يقوم بحركة راقصة هوائية ووجهه يملؤه الشغف. لون الأفيش كان يميل للون الأصفر والحروف باللون الأسود اللامع على صورته كُتب اسمه وتحتته: **لعرض واحد فقط في فناننا!** (وبجواره العنوان وقيمة التذكرة) **موعد العرض:** 21:00. لا تدعوه يفوتكم! جاء جو مع صديق له إلى البيت في أحد الأيام متأخرًا بعد منتصف الليل، وخرجنا نحن الثلاثة لنلصق الأفيشيات في الحي وفي الأحياء شمال محطة السكك الحديدية حيث كانت تعيش العائلات الثرية. كلما اقترب موعد الحفل كان القلق يتصاعد. لم يكف مايكل عن أداء البروفات؛ كان متوترًا. اتصلت بالسيدة دينا وطلبت منها أن تحضر العديد من الميزات لهذه المناسبة؛ سيكون من اللطيف أن نقدم للحضور شيئًا لنشكرهم على تشريفهم لنا بالحضور. بالطبع صرحت السيدة دينا أنها من أجل حبيبها لن تقبل أن تتقاضى أجرًا، وستكون الميزات هدية منها لحفلنا. وصل الأدرينالين إلى أعلى مستوياته. بقي فقط ثلاثة أيام. مرة أو مرتين تملكنا التشاؤم أنه لن يأتي أحد وأن كل ما نقوم به سيذهب سدى، لكن لحسن الحظ ظلت روحنا المعنوية في حالة جيدة بشكل عام وكنا نتمنى أن نحصل

على الأقل على المبلغ الذي يحتاج إليه السيد مين من أجل معركته القضائية مع سلطات الحي. كان الفناء كبيراً بما يكفي. المشكلة الوحيدة كانت شجرة البلوط لكن لم تكن هناك وسيلة لإخفائها. قبل يومين من الحفل جاء جو مع صديق له نجار وصنعا منصة خشبية أمام الباب الخارجي بالضبط أي من الناحية التي سيخرج منها مايكل من أجل عرضه. المنصة كانت كبيرة. تركنا مساحة على أحد الأجناب من أجل جهاز الاستريو. بقية المكان كان من أجل مايكل. كانت هناك مشكلة أخرى ولكنها حُلَّت لحسن الحظ بمساعدة جو (الذي كانت مساهمته ثمينة طيلة أسبوع التجهيزات)، كانت الحشائش التي نمت وقد تعوق حركة الجمهور فنظفناها وزينا السياج بشكل تجريبي ببعض الشرائط الملونة وصور مايكل. وإن كان كل شيء جاهزاً نظرياً، كانت الليلة التي تسبق الحفل طويلة لا تمر بأي شكل. ظلت أتقلب في فراشي حتى الصباح. كان القلق لا يوصف. لحسن الحظ كان مايكل هادئاً، حتى إنه ألقى نظرة على قصائده قبل أن ينام. بالرغم من أن نتيجة التجربة كانت تتعلق بشكل أكبر بجمع المبلغ الذي يحتاجه السيد مين، إلا أنني كنت أشعر بقلق كبير تجاه أداء مايكل وتقبل الجمهور له. بقدر ما كان يبدو هادئاً، لم أكن واثقاً من درجة جاهزيته. فالحفل الموسيقي هو حفل موسيقي والجمهور له متطلبات، كما أنه قد مر وقت طويل منذ آخر مرة قام فيها مايكل بشيء كهذا، على الأقل منذ يوم وفاته. باختصار، لم أشأ أن يشعر بحزن من أي فشل محتمل، فلم أكن

أحتمل رؤيته محببًا، لقد كان صديقي، وهذا يعني لي أكثر من أي شيء.

جاء اليوم الموعود. استيقظنا باكراً وشربنا القهوة بهدوء شديد. أعجبنى هذا. جاءت السيدة دينا مبكراً جداً وبدأت في الطبخ، قام مايكل ببعض التمارين الرياضية في الصالون، بينما ذهبت لأحضر جو. أردت رأيي في المكان المناسب لوضع منضدة الميزات، حتى لا تقطع تدفق الحفل. في الظهيرة ذهبت المغسلة لأحضر ملابس مايكل. كانت تلمع من النظافة؛ فابتهج عندما رأها. سيستغرق الحفل نحو الساعة (فكرنا أنه ربما يشعر بالإرهاق إذا ما استغرق وقتاً أطول، إذ إنه سيكون وحيداً تماماً على خشبة المسرح). لم تكف السيدة دينا عن الطبخ، لم أطلب منها هذا، لكن بالتأكيد كان ما تفعله مفيداً لنا، لم يكن هناك سبب لأوقفها. على الجانب الآخر، جاء السيد مين قبل الظهر ولم يجد كلاماً ليشكرنا. كان يرى التجهيزات ويبتسم بامتنان. مشط شعره جيداً وارتدى حلة شتوية - كان يمسح عرق جبينه بين الحين والآخر - كان قلقاً هو الآخر ويشعر بشيء من الذنب حيث كان يعرف أن كل هذه الجلبة كانت تحدث من أجله. حتى إن زجاجة نبيذ لجلب الحظ، وعدته أن نشربها بعد انتهاء الحفل. كان لدي شعور أن كل شيء سيسير على ما يرام، كنت أعرف هذا في داخلي وكنت أريد أن أنشر هذا الشعور للبقية. لم يكن لدينا ما نخسره على الإطلاق وكلما رأيت مايكل مبتسماً، تأكدت من أن الليلة ستشهد نجاحاً ساحقاً. لحسن الحظ كان هناك نسيم لطيف

في المساء بالرغم من أن اليوم كان حاراً للغاية فكانت ليلة رطبة. بدا مايكل مبهرراً عندما ارتدى ملابسه وعلى أتم استعداد ليكسب الجمهور في صفه.

رسمياً ووفقاً لإعلان الحفلة، كنا سنبدأ في تمام التاسعة لكن حتى الساعة الثامنة لم يحضر أحد. حاولت أن أحتفظ بهدوئي ولا أصدر زعري للآخرين الذين كانوا على الأقل وبغرابة يبدون أكثر هدوءاً مني. كان مايكل ينظر إلى المرأة يعدل قميصه، السيدة دينا كادت تنتهي، المنضدة امتلأت بالأطباق الشهية، إلا أن شهيتي قد زالت تماماً من فرط القلق. راح جو ينظر إلى ساعته ويزفر فلم يكن بوسعه أن يقوم بأي شيء ليغير الحال. عندما اقتربت الساعة من الثامنة والنصف لم أحتمل وظهر علي قلقي وتوتري.

- "لا أرى أن الأمور جيدة..." قلت لهم وأنا أزم شفتي.

بدأ ألم غريب يتسلل إلى بطني. خرجت إلى الشارع كي أتمشى. لم أر أحداً في الطريق إلى البيت. أشعلت سيجارة ورحت أركل الحجارة نحو باب الفناء. أمامي كانت المنضدة الخشبية وجهاز الاستريو. على المنضدة الميزات الباردة العارية التي صنعتها السيدة دينا، رحت أزفر وأزفر... لا يمكن أن يضع كل ما فعلناه وكل هذه التجهيزات هباءً. في التاسعة إلا عشر دقائق كنا لا نزال وحدنا. لم أستطع تصديق ما حيث. رحت أدخل وأخرج من البيت وأنظر إلى الآخرين بوجه يعلوه الاعتذار. ولكن لم تبد على أحد أي مرارة. لكن ماذا يحدث بحق الجحيم؟ ألم يفهموا أن كل

المخططات فشلت؟ كان جو يجلس أمام التلفاز يتابع مباراة لكرة القدم، بينما مايكل لم يبتعد عن المرأة. الآن التقط فرشاة كبيرة وراح يمشط شعره. وعندما رأي سألني:

- "هل حان وقت خروجي؟".

نظرت إليه كما لو كنت أوبخه.

- "أين ستخرج يا مايكل؟ ليس هناك أحد في الفناء!".

رفع كتفيه واستمر في النظر إلى المرأة دون أي تأثير. السيدة دينا كانت تقف وراءه بفخر وعلى وجهها ابتسامة بلهاء. لم أستطع أن أراهم بهذه الأريحية في اللحظة التي تنهار فيه فعاليتنا. قلت لجو:

- "ماذا حدث لكم؟ ألا ترون أن أحداً لم يأت؟ ولم هذه اللامبالاة؟".

- "انتظر، ما زال الوقت مبكراً، صارت الساعة التاسعة لتوها. نحن في الصيف، الناس دائماً ما يتأخرون في مثل هذه الحالات".

- "ماذا تقول؟ الأفيش يقول إن الحفل سيبدأ في التاسعة، والساعة الآن التاسعة ولم يأت ولا شخص واحد. لا أحدا!".

- "اهدأ"، قال جو وجعلني أشعر بالغباء من فرط قلقي كأن نهاية العالم قد حانت.

حقيقة لا أعرف ماذا حدث لي. فمايكل كان على ما يرام فأنا كنت أهتم لأجله أكثر من أي شيء لماذا أتصرف كالمجنون؟ كل ما كان مفترض أن يتم قد حدث بالفعل. لم يكونوا مخطئين في الاحتفاظ بهدوئهم، فعلى الجانب الآخر بالطبع، كان لهذا الحفل هدف محدد: أن نجمع المال من أجل السيد مين. بناء عليه، وبالتالي، لم يتحقق الهدف. في التاسعة والنصف، أدرك الجميع أن الليلة قد انتهت قبل أن تبدأ. جلسنا جميعاً في الفناء - ما عدا مايكل الذي لم يفارق المرأة - بجوار بعضنا على المنصة الخشبية حيث كان من المقرر أن يكون عليها مايكل يقدم عرضه. السيد مين بدا متجهماً. راح ينظر إليّ بخجل كما لو أراد أن يقول شيئاً لكنه تردد. حينها دق هاتف جو، أجابه وتحدث بنبرة مرحة، ربما كان عمه، فهكذا كان يناديه.

- "نعم، نعم يا عمي... لا ليس هنا، بعد السوبر ماركت على اليمين، يمين العمارة الكبيرة، وبعد أن تعبر محطة القطار استمر حتى ينحرف الطريق... برافو، عند الميدان... ومن هناك تعال، نعم، نحن في انتظارك". ثم التفت نحوي وقال بحماس:

- "لقد كان عمي، هذا الذي يعيش في شيلي. قلت له عن حفلة مايكل؛ لقد حضر إلى هنا ليقضي إجازته ووعدني أنه سيأتي، لكنه تأخر لأنه لم يعثر على المنزل...".

ابتسمت له بلامبالاة. لقد خسرنا الرهان. وماذا لو أتى شخص

واحد؟ لم تكن خطتنا ذكية. بدأ الظلام يحل، فبدت خشبة المسرح مبهرة، يبدو أن جهاز الاستريو لم يعد له حاجة، حمله جو إلى هنا دون جدوى، بعد قليل أتى عم جو. شخص مضحك لكن لطيف بعينين كبيرتين وابتسامة واسعة.

- "قضيت ساعة كاملة حتى أجد المكان!" قال وهو يدخل.

ركض جو ليحتضنه قد حدثني عن عمه الحبيب الذي كان يعيش في شيلي، لكنني لا أتذكر تفاصيل. حيّانا عمه جميعاً بأدب وحرارة وسألنا في أي ساعة سيبدأ العرض. لم أعرف بم أجيبه. تشجع جو وشرح له الوضع:

- "على الأغلب لن يتم الحفل... لم يأت جمهور... ربما لم ننظم الأمر بشكل جيد، إنه خطأنا...". قال جو ليبرر لعمه الوضع كاملاً.

ارتسم الإحباط على وجه العم.

- "حقاً؟ أوه، ياله من خبر حزين، لقد أردت كثيراً أن أرى مايكل...". قال وهو يتنهد.

- "نشكرك لحضورك ونعتذر لتعبك. لم أكن أتخيل أن...". أضفت بدوري لأقول شيئاً.

كان رجلاً لطيفاً للغاية. خسارة كبيرة أننا أفسدنا عليه سهرته.

قفز مين قائلًا:

- "سأتصل بالمحامي لأخبره بأن يوقف الإجراءات، وأنه ليست هناك نقود".

لم يفهم العم.

- "لكن ما هذا؟ هل لديكم مشاكل مع محامين؟ وما هو رأي مايكل؟" تساءل العم، الذي بالطبع لم يكن يعرف تسلسل الأحداث.

فرد جو:

- "لا يا عم، الأمر لا علاقة له بإحياء مايكل للحفل... أو، على كل، خطة فاشلة، سأحكي لك فيما بعد...".

اختلط الأمر تمامًا على العم. فبادر جو يشرح له الأمر بالتفصيل.

- "أهذه هي المشكلة؟ الأمر بسيط... " قال هذا الرجل المهذب بعدما سمع القصة كلها ثم أضاف: "من فضلكم، لا أريدكم أن تشعروا بالإهانة، لكن يمكنني أن أساعد. سأفعل هذا من أجل جو، فأصدقاء جو هم أصدقائي...".

نظرنا إلى بعضنا دون أن نجيبه.

- "لكن يا عمي، أتعني هذا؟" قال جو بتردد.

السيد مين كان يسمع بانتباه شديد وأضاء وجهه شعاع من التفاؤل.

- "نعم، نعم، الأمر هين جدًّا، لماذا لا أساعدكم بما أنني قادر على ذلك؟ سأحرر لكم شيكًا بالمبلغ وينتهي الأمر... لكنني أرغب كثيرًا في رؤية مايكل. من فضلكم!".

قمت واحتضنت العم وقبلته. ومن بعدي فعل نفس الشيء السيد مين الذي كاد أن يجن من فرحته.

- "سيظهر مايكل بعد خمس دقائق"، أعلنت بفخر.

تركتهم وذهبت لأجد مايكل الذي كان لا يزال يستعد. فور أن رأني ابتسم وسألني بنفاد صبر:

- "ماذا حدث؟ هل أخرج الآن؟ كم عدد الحضور؟"

- "واحد، لكنه جيد!" قلت.

شرحت له سريعًا وطلبت منه أن يخرج ليقدم عرضه، سيكون من المؤسف أن نحبط العم بعد لفتته الرائعة. لم يكن لدى مايكل أي اعتراض بل وبدا عليه الرضا إذ إن مشكلة المال قد حلت وقال لي بأن أعد الموسيقى لأنه سيخرج. هرولت للخارج وصعدت على خشبة المسرح كي أتأكد من أن كل شيء جاهز. حسنًا، ليست هناك أي مشكلة. ثم أخبرت باقي الصحبة بأن الحفل سيبدأ. جلس الجميع بورع ينتظرون رؤيته. ضغطت على الزر الرئيس لجهاز الاستريو لتبدأ أول أغنية. رأيت مايكل يقف على طرف الباب ينتظر أن يسمع المقدمة ليظهر على المسرح. فتح جو وعمه أفواههم من الإثارة والسيد مين بدا مرتبكا - لم أكن متأكدًا

إذا كان قد فهم ماذا ننتظر بالضبط- أما السيدة دينا فكانت تقف خلفنا جميعاً تحبس أنفاسها من التوتر. ضغطت على الزر لكن الموسيقى لم تبدأ. عادةً، يجب أن تسمع النوتات الأولى، لم أفهم لماذا كان هناك فراغ صوتي طويل. مرت بضع ثوانٍ ورأيت مايكل يهز رأسه كما لو أراد أن يسألني ماذا يحدث. أشرت له أن ينتظر قليلاً. ضغطت على الزر مرتين والنتيجة لا شيء. اعتذرت من المشاهدين وذهبت إلى الأغنية التالية، ربما كانت هناك مشكلة في الأغنية الأولى، يحدث أحياناً، لكن لا شيء، بعد ذلك ذهبت للثالثة. لا شيء، لا شيء... شعرت بالحرج. جربت عدة مرات ولم يتغير شيء. فهم جو أنني في حالة زعر فهرع ليساعدني.

همست له قائلاً:

- "لا أفهم... لقد تجربته بالأمس وكان يعمل بلا أي مشكلة. ما الذي حدث الآن؟".

نظر جو إلى الأضرار مراراً.

- "ربما الأسلاك. انتظر... " قال لي.

لا أعرف ماذا أفعل... في هذه الأثناء سمعنا صوت مايكل يصيح من عند الباب.

- "هل أخرج؟".

وقفت وصحت له بأن ينتظر، لكن عندما سمع العم صوته صفق

له. غير جو مكان الأسلاك عدة مرات، حرك جهاز الاستريو من مكانه، راح يفحص السماعات، جرب مرة أخرى عل الموسيقى تُسمع، لن لم يُسمع شيء، لا شيء يعمل. كما لم يبد أن هناك مشكلة، والأسوأ أننا لم نكن نعرف ماذا علينا أن نصلح. بادر جو باتخاذ القرار وأعلن:

- "ليس لدينا أخبار جيدة. شكرًا لحضوركم، لكن ربما يتحتم علينا إلغاء الحفل. هناك مشكلة تقنية تمنعنا من الاستمتاع بمايكل...".

لم يفهم مايكل ماذا يحدث، وهكذا توليت أنا مهمة إخباره.

- "لن تخرج بالأخير، جهاز الاستريو لا يعمل. أنا آسف يا مايكل"، قلت يائسًا.

هز هو كتفيه. تعامل مع الأمر بشكل جيد، على عكس العم، الذي حزن كثيرًا ولم يواسه شيء مما كان يقوله جو له وهو واقف أمامنا يحدثه ويربت على ظهره. ثقلت الأجواء لبعض الوقت حتى صاحت فجأة السيدة دينا في محاولة منها لتلطيف الأجواء.

- "هيا بنا نأكل، لا يهم، مرة أخرى!".

- "هل يمكن على الأقل أن أحيي مايكل؟" قال العم بدلال كطفل صغير خطفوا منه الحلوى من فمه.

- "بالتأكيد، فهذا حقك. فعلى كل حال أنت ممولنا!" قلت مؤكدًا

بما أن الأمور صارت هكذا.

لحسن الحظ جاء هذا الرجل اللطيف وأنقذنا من كارثة محققة. يمكن أن تكون فكرة الحفل قد فشلت، لكننا نجحنا في تحقيق الهدف والسيد مين سيوكل المحامي. لكن نعم، لم يكن هناك سبب لنعكر أمزجتنا، فبالأخير لم ينفضح أحد. ببساطة لم يقم الحفل أبداً، هذا هو الأمر له.

ناديت على مايكل ليتعرف على العم. وكالعادة كان مهذباً للغاية حتى إن العم لم يخفِ تأثيره.

- "أنا معجب بك كثيراً. لا يمكن أن تتصور كم أنا سعيد...سعيد جداً بالتعرف عليك... كنت أنتظر هذه الفرصة منذ سنوات طويلة. وحزنت جداً عندما مت...".

ابتسم مايكل وضم على كفه بتواضع. لم يتبق سوى أن أدعو الجميع للطعام بعد مبادرة السيدة دينا.

- "تعالوا! تعالوا لنأكل، إن الطعام كثير ونحن قليلون، ليس هناك أفضل من هذا!" قلت وتبدلت الأجواء تماماً؛ اجتمع الجميع حول المائدة وراحوا يلتهمون الطعام بشهية. السيد مين كان مرتاحاً تماماً وكان مزاجه رائقاً ولم يكف عن الطعام والثرثرة هو والبقية بالطبع. العثرة الأولى لتطور الليلة تحولت إلى أجواء احتفالية وصحبة رائعة ورحنا نستمتع بليلة صيفية لطيفة.

في صالون الحلاقة

كل من يأتون إلى هنا كل يوم كي يعتنوا بشعر رؤوسهم سيلاقيهم موت تراجيدي. بعضهم سيسحقون في عربة ستتحرف عن طريقها والآخرين سيسمعون آخر دقة لقلوبهم في ظلام الغرفة، ربما حين يأتي الربيع. أجيء إلى صالون الحلاقة مرة كل شهرين. أجلس دائمًا على نفس المقعد إذ إنه في البداية تغسل رأسي تلك البنت الهادئة مساعدة الحلاق. هناك يطغى حزن بهيج. الموجودون يتحدثون بصوت عالٍ وتقريبًا يبصقون وهم يصيحون بأفكارهم وكل ما يقولون وينقلونه للآخرين. هم ليسوا أناسًا كريهين. طلاب وبعض أنصاف المتعلمات من ربات البيوت ورجال صامتون بلا روح تقريبًا يقفون مرتبكين ينتظرون دورهم، شخص آخر ينظم المواعيد لهم. أنا لا أتحدث إلى أحد سوى الحلاق وهو رجل أحقق إلا أنه يعرف كل شيء. متى ستكون نهاية العالم، متى سينهار الاقتصاد، متى سيغزو العرب البلاد، متى سنموت، حتى إنه كان يعرف الساعة. يسقط شعري على الفوطة التي وضعها على كتفي ثم هذا الشعور الدائم بالتلف الذي يأتي كعادته فيسمم كل المشاعر الأخرى. لدي رغبة دفينية: أن أمزق هؤلاء الناس بطريقة قاسية ووحشية وأثقب أمعاءهم العفنة بعنف وتلذذ لأحررهم من حيواتهم البائسة التي يحملونها معهم. صالون الحلاقة هو مكان محايد. تتكثف فيه أكثر أفكارى شحوبًا عن العالم. الشعر المتساقط على الأرض هو فكرة حمقاء

أخرى تتحدد على أثرها دقائق قلبي في هذا المكان بعينه. ومع ذلك ففي صالون الحلاقة الوقت يتوقف. كل شيء يتمركز فقط حول العناية والرعاية بالشعر، لا أذكر أحدًا له أي خاصية أخرى سوى أنه وصل إلى هنا من أجل العناية وتصفيف شعره. إن هذا الواقع واضح جدًا ويسبب ارتباكًا بلا وعي للحاضرين، ارتباك صالون الحلاقة. هنا يتعري الجميع. امرأة تقرأ مجلة وتنتظر دورها، تنجح في التهليل بمآسي الحياة، فهي بلا أي شيء بائسة حزينة ولم نستطع أن نفهم إذا ما كانت تنتظر دورها في البنك أم في المطعم. لكن في صالون الحلاقة، لا أحد ينجو. السيدة غارقة في حالة من عدم الأمان المثير للاشمئزاز وهو خسارة كبيرة بما أن عدم الأمان هو أمر دائمًا مثير للتعاطف، تحاول ألا تظهر خجلها، وأنها قد وصلت للكوافير تصفف رأسها الغبي؛ لأنها يجب أن تذهب إلى إحدى الاحتفالات أو الأعياد، ربما هي مدعوة لعشاء رتيب، وبحسبة رياضية بضع قطرات من الصلصة أو قليل من الكريمة الكثيفة ستنتهي على شعرها المصفف لتوه. لو انتبه أحد سيدرك أن الكوافير قد دمر كل أثر لكرامة زبائنه من اللحظة التي وطأت أقدامهم المكان. السخافة تغمر المكان؛ وهي العنصر الأساسي فيه. الحلاق نفسه إنسان عارٍ من أي جدية، يسيطر عليه وهم العالم ببواطن الأمور، يسير بين مقاعد أحواض غسيل الشعر ومقاعد المنتظرين يشع فخر المتسائل؛ ماذا كنا سنفعل كنا هنا في هذا المكان دونه؟ لولاه لكنا حزمة من الأجساد غير النافعة، وبالطبع لها شعر قبيح. لكنه شخص مضحك الهيئة بعينه اللتين تشبهان البقرة وحس فكا هي لإنسان

الغاب يجرب مشاعر نشوة ما عندما يرانا جميعاً متلهفين وقلقين على مصير جمالنا ونعتمد كلية عليه. بعض الزبائن هم ميتون بالفعل. تسيل من أفواههم رغبة كما لو أطلق عليهم الرصاص بمدفع رشاش، لكن لا أرى أحداً يهتم بمصيرهم. الجميع يمضون بإيقاع مرضي نحو الموت وما بعده. من زاوية أخرى فصالون الحلاقة / التجميل يشبه سفينة فضائية.

من يدري إلى أين سنكون قد وصلنا الآن، في مجرة بعيدة نسافر وفي أحضاننا الشامبو وكريمات الترطيب...

في بعض الأحيان تسأل الفتيات اللاتي يعملن هناك لو كانوا يريدون أن يقدموا لهم القهوة. وهذه هي المكيدة الكبرى. ليس هناك شيء أكثر إهانة من أن يقبل زبون مسكين أن يشرب القهوة في صالون الحلاقة - فهي قهوة بلا طعم مصنوعة بمعايير خاطئة من القهوة والسكر - وهي لفتة تشي بانعدام الكرامة... وهكذا، بينما يزعمون إظهار الطيبة والكرم والأدب، ينجحون في جعلك تنتظر ساعات طويلة في هذا المكان الذي يكاد يكون أشبه بغرف الغاز.

ذات مرة، كان هناك شاب صغير لم يتعد العشرين من عمره، دخل وطلب معروفًا من الحلاق. أن يقص له شعره بشكل صحيح، حتى يبدو بمظهر موظف محترم في العمل الذي كان سيبدأ فيه في اليوم التالي، لو أتذكر جيدًا، موظف في بنك. كان الولد أحمق، لم يكن بالطبع أكثر حماقة من الحلاق وزبائنه. كان بريئاً قليل الخبرة بجسد ممتلئ مترهل وصوت مضحك تقريباً وحركات عصبية

واضحة. عندما طلب هذا الطلب المحدد؛ فعل هذا بينما كان ينتظر دوره والحلاق كان مع زبون آخر (ومن الواضح أنه فعل هذا كي يتخلص من توتره وقلقه بأنه سيكون موظفًا محترمًا في البنك). سمعه الحلاق وراح يشرح له باستعلاء أن ما يطلبه غير محدد وأنه ليس هناك ما يسمى بقصة البنك / البنوك. في البداية راح يتحدث باحترام نوعي لكن بعد قليل وبينما كان الشاب ينتظر في صمت أخذ يزين حديثه بتفسيرات وشروحات وتعليقات غير ضرورية. كان أيضًا بين الحين والآخر يضيف تعليقًا ساخرًا، حتى وصل إلى درجة الحديث عن درساته في الخارج والدورات التدريبية في فنون قص الشعر والتجميل التي قام بها. لم يتكلم الشاب، كان يسمعه بخجل مع بقية الزبائن. بالتأكيد ندم كثيرًا أنه فتح فمه من البداية، لكن الندم يأتي متأخرًا. توقف الحلاق عن السرد والتعليم عن الحلاقة مؤقتًا بينما عاد إلى الرأس الذي كان يخلقه، بين الحين والآخر كان يقهقه بما يأتي إلى رأسه، ولم يكن شيئًا آخر غير طلب الشاب.

حينها جاءت في أعماقي تلك الرغبة المجنونة: أن يحترق صالون الحلاقة وكل السيدات محاصرات بدورهن في الداخل وبالتدريج ستحترق جلودهن وتذوب كغشاء بلاستيكي وتسيل وجوههم الذائبة على الأرضية الرخامية. كم كانت الطلاءات بلا فائدة وكم ذهب سدى، الكريمات والوجه المهذب سيتحولون إلى حزمة بائسة... ولما يتوسلن للمساعدة، سيصبح شعرهن المصبوغ رمادًا مع أظافرهن وابتسماتهن الواسعة. إن الحياة مليئة بالمفاجآت.

6

حواران

في الأيام التالية كان هناك موعدان. الأول كان مواعي مع طبيبي العزيز؛ كان يلزم أن أراه كي أرتب بشكل ما في رأسي كل ما حدث في الأيام الأخيرة. الموعد الثاني كان لمايكل مع مدير إحدى دور النشر بخصوص مجموعته الشعرية.

أنا والطبيب

- كيف الحال؟
- لا أشعر بشيء سيء.
- هل تحسنت مع وصفة العقاقير الأخيرة؟
- لا أتناولها كل يوم.
- لماذا؟ لا تفعل هذا. يمكن أن يكون لهذا تبعات في فعالية العلاج.
- حسناً، لا أتناولها... الأيام الأخيرة كانت مكثفة للغاية يا دكتور. أريد أن أقول...
- نعم؟ ماذا يحدث بالضبط؟
- قلت لك في المرة السابقة إنني أعيش مع مايكل جاكسون. ارتبطنا كثيراً، نحن الآن صديقان حميمان.
- مع مايكل جاكسون؟

- نعم.
- حسنًا... هل تذهب للعمل؟
- نعم، بالطبع. أخذت يومًا أو يومين إجازة من أجل تحضيرات الحفل.
- أي حفل؟
- لقد قدم مايكل حفلاً في فناء بيتي لكي يساعد أحد جيراني في مسألة قضائية.
- أريدك أن تعدني بأن تتناول عقاقيرك.
- حسنًا، حاضر يا دكتور. لن أسمع... أريدك أن تساعدني في أمر ميولي الانتحارية. فهذا الأمر لا يفارقني أبدًا ولا يتحسن الوضع بأي وسيلة، حتى عندما أكون سعيدًا. حتى عندما أتخلى عن الالكتئاب، فشغفي بمسألة الانتحار لا يتوقف أبدًا.
- نعم، لقد تحدثنا في هذا الأمر مرارًا. أعتقد أن هذا الأمر بالتحديد وهذه الرغبة هي بالنسبة لك محض هوس لا أكثر.
- إن فكرة الموت فقط تملؤني بشعور غريب بالاكتمال. كما لو أنني مدين بهذا لنفسي، كيف يمكن أن أشرح لك بشكل آخر....
- نعم... لكن ربما لا يجب أن نركز في هذا الأمر الآن. دعنا نحل بقية الأمور، ربما تتبخر هذه الرغبة.

- أي بقية أمور يجب أن نحلها؟
- وجهة نظرك في الحياة... الحزن... وهذه الأشياء التي تحكي عنها أخيراً هي نتائج للهذيان. لن أخفي عليك قلقي. أعني ما يتعلق بمايكل جاكسون.
- أي مشكلة لديك مع مايكل؟
- هل تعتقد حقاً أنه موجود في بيتك؟
- عفواً، هل تشكك فيما أقوله؟ تعال لترى بنفسك.
- لم تكن لديك تلك الأعراض أبداً. لماذا هكذا فجأة؟
- أرى أنك تصر... حسناً، أفهم هذا، ربما كان سيكون لدي رد فعل مشابه لو كنت في مكانك، فالأمر غريب بعض الشيء....
- ألم يمت مايكل جاكسون؟
- هكذا كنت أظن أنا أيضاً، لكن...
- وإن كان لا يزال على قيد الحياة، لماذا يأتي إليك؟ هل يعرفك؟
- تساؤلاتك منطقية يا دكتور، أنت محق. لا، لم نكن نعرف بعضنا من قبل... ولا تظن أن الأمر لم يكن مفاجأة كبيرة بالنسبة لي أيضاً!
- انظر، لا تعجبني هذه القصة على الإطلاق. تخيفني... حاول أن تساعد نفسك قليلاً. وإن كنت تحب أن تحكي مثل هذه القصص فقل لي على الأقل لماذا لديك هذه الحاجة.

- ليس لدي أي حاجة. لا تصور الموضوع هكذا. يضايقني. قلت لك، لقد جاء إلي واستقبلته. لماذا تجعلني أشعر بالضيق؟
- حسنًا... أريد أن تقوم بمعروف لأجلي.
- تفضل، أي معروف تريد؟
- أريدك أن تقوم برسم للدماغ، هو أمر روتيني...
- لا أقبل.
- ...
- لا تضعني في موقف صعب. لقد حدثتك بكل صراحة. تعرف أنني لا أعاني من الفصام، لم أفقد تواصلتي مع الواقع.
- اهدأ، تعلم أنني أهتم كثيرًا لحالتك. أريد فقط أن تظهر بعض الالتزام وأن تنظر للوضع بمنطقية أكثر.
- بمعنى؟
- إنها فكرة مجنونة... تقول إن شخصًا جاء للعيش معك. لو أنه جاء بالفعل اسمح لي أن يكون لدي بعض التحفظات في هذا الصدد لا يمكن أن يكون مطربًا مبدعًا. من فضلك، قل لي إنك تفهمني.
- أريدك أن تتحدث باحترام أكثر عن أصدقائي.
- ...
- جئت إلى هنا لتحدث. لقد أحزنتني كثيرًا اليوم يا دكتور...

- حسنًا، حسنًا...
- المشكلة يا عزيزي الدكتور مختلفة الآن. فأنا قلق على مايكل... أعرف أنه سيأتي يوم وأجد الشجاعة ولن يكون أمر انتحاري مجرد حلم. سيحدث يومًا ما... ولا أعرف ماذا سيحدث لـمايكل. لو كنت تعرفه ستفهم. إنه مثل طفل صغير، كيف يمكن أن يعتني بنفسه؟ هل تدرك مدى قلقي؟
- نعم، بالطبع...
- أأأأأأ، ماذا سأفعل؟
- أليس لـمايكل أقارب أو أصدقاء؟
- لا، لا أعتقد.
- ...
- لو كان هناك أحد يتولى أمره، سيكون الأمر مختلفًا.
- لماذا تشعر أنك مسؤول عن مايكل؟
- إن مايكل هو السبب في أنني بدأت أجد نفسي، وأنتني بدأت أعيش.
- مايكل أم فكرة مايكل؟
- لا تبدأ مجددًا...
- حسنًا، أكمل.

- إن مايكل مخلوق نادر. حكيم!
- ومن أين استنتجت هذا؟
- لا أعرف. مما يقوله، الطريقة التي يتصرف بها... إنه لطيف وجدير بالحب.
- هل يمكنني أن أراه ذات مرة؟
- أعتقد هذا، نعم. سأخبره.
- لماذا لا تعثر على امرأة؟ أعرف أنك تحب النساء جداً.
- وما علاقة هذا بذاك الآن؟
- ...
- ماذا سنفعل في أمر الانتحار ألم تقل لي...
- يجب أن نعزز الطاقات التي لديك ونوجهها إلى جوانب أخرى في شخصيتك.
- أخشى أنني سأنفجر حتى نعززها.
- لماذا تعيد تكرار نفس الكلام؟ من ناحية أنت تقول إنك مع صديقك الجديد تغيرت الأمور نحو الأفضل ومباشرة بعدها تقول إنك ستنتحر.
- ألا تفهمني؟ بقدر ما أنا أصبح أكثر سعادة، بقدر ما سيكون من الأسهل أن أصل إلى هدفي.

- لدي عقل غريب جداً...
- لا أدري.
- حسناً، يجب أن نعيد النظر في العقاقير.
- كيفما ترى.
- سأكتب لك شيئاً للتوازن، لكن عليك أن تعدني أنك ستتناول العقاقير.
- نعم، حاضر، لا تقلق...
- أريد أن أراك في الأسبوع القادم.
- ولماذا بهذه السرعة؟
- وما الجديد، هذا ليس بسرعة، كنا نفعل هذا فيما سبق. لكن في الفترة الأخيرة فلت العنان...
- ها، ها، ها... حسناً، سوف أجيء.
- أفضل أن نعود إلى عاداتنا القديمة وتأتي كل أسبوع. أظن أنك في حاجة إلى هذا في هذه الفترة.
- قلت لك، سأكون موجوداً، سأحضر.

مايكل مع مدير دار النشر

- من فضلك، اجلس.
- شكرًا!
- كما قالوا على الهاتف، لقد أحضرت لي شيئاً قد كتبته. وإذا لم أكن مخطئاً فالأمر يتعلق بمجموعة شعرية؟
- نعم، بالضبط. هي معي.
- أعتذر عن جرأتي. لكنك تذكرني بشخص ما...
- حسناً.
- ثم؟
- ثم ماذا؟
- هل تخميني صحيح؟ هل أنت ما أعتقد؟
- إيه... نعم.
- لكن... أأست...؟
- ماذا؟
- ...
- قل لي...

- لا شيء، لا يهم. حدثني عن قصائدك.
- كتبتها قبل فترة طويلة، ربما من أسبوع... لكن بما أنني انتهيت منها، قلت لم لا تلقي عليها نظرة. أريد أن أنشرها.
- سأقرأها. لكن على أي حال... هل تعتقد أن لديك حاجة؟
- ماذا؟
- عن القصائد أتحدث... هل تعني أو ستقدم لك شيئاً؟ فأنت مشهور جداً بأعمالك.
- وما علاقة هذا بقصائدي؟
- نعم، معك حق... أعطني إياها لألقي نظرة... أعطني... حسناً... إنها مجموعة صغيرة، هذا جيد. سأحتفظ بهذه النسخة كي أطلعها بترؤ.
- نعم، طبعاً.
- لم أكن أعلم أنك تتشغل بالشعر.
- نعم، بالأساس أنا شاعر.
- أها، أهذا صحيح؟
- نعم.
- تعلم أن الظروف ليست سهلة في مجال النشر.
- ماذا تعني بالضبط؟
- تُنشر الكثير من الكتب وأغلبها لا يجد حظاً في السوق. صار

الناشرون متحفزين جداً ولا يخاطرون بالكتاب الجدد.

- هل كلامك هذا موجه لي؟
- لا، لا، حاشا... أتحدث بشكل عام، الأمر لا يتعلق بك.
- ومتى ستتخذ قراراً فيما يخص قصائدي؟
- سيتوجب أن تنتظر قليلاً. فكما تعلم، أنا لا أقرر وحدي. أريد أن أقول، حتى لو أعجبتني، بعد ذلك يجب أن يقرأها مجموعة من الناس كي يوافقوا عليها هم أيضاً.
- حسناً...
- لا تقلق لهذا. لو أن عمك جيد سوف ننشره.
- تعلم أن هذه القصائد لها أهمية قصوى لدي. هي مجموعتي الأولى، ورأيك سيهمني كثيراً...
- أعدك أن أقرأها بعناية كبيرة.
- شكراً.
- إذا سمحت لي، ألم تعد تعمل في مجال الأغنية؟
- لا، لا يهمني.
- لكن...
- ...
- حسناً، سوف أتصل بك.
- أهذا هو كل الأمر؟

- كيف؟
- أعني، ألا تريد أن تعرف أكثر عن قصائدي؟
- لقد قلت لك، سوف أقرأها وسوف نتحدث. أيًا ما سوف نقوله الآن...
- هل أنت شاعر يا سيد؟
- لا. لقد نشرت رواية قبل سنوات. عملي هنا في دار النشر، أعني أنني ليس لدي قلق أو مخاوف الكتابة.
- لكن لماذا؟
- ...
- أرى أنك شخص ناضج. سأنصحك أن تكتب بعض القصائد.
- أنت تاملني، لكن ليست لدي الموهبة.
- لكن لو كتبت شيئاً سوف أقرأه بكل سرور.
- شكرًا.
- كانت سنوات طفولتي صعبة. كنت أتعرض للضرب طيلة اليوم...
- ماذا تقول؟ هذا محزن للغاية، وهل تكتب عن هذا في شعرك؟
- الضرب؟ لا، تجنبت هذا، كان سيحزنني ويضايقني هذا. القصائد في أغلبها رومانسية. أتحدث عن النساء.
- آه...

- قصيدة أو اثنان عن واحدة تعرفت عليها مؤخراً. تأتي لتطبخ لنا.
- حسناً، رائع. أشعار حياتية تجريبية إناً.
- هل تعتقد أنني شاعر جيد؟
- لم أقرأ لك بعد.
- أعني من انطباعك عني...
- ماذا أقول لك؟ لا أستطيع أن أعرف. في الحقيقة أنت مرتبط لدي بتخصصك الآخر.
- لا تفعل هذا، أنت تخيفني...
- لا، لا تقلق.
- لو ربطتني بتخصصي الآخر فيبدو لي أنك لن تتعامل معي بجدية...
- لقد وعدتك. سأقرأ قصائدك. وسأنقدها بموضوعية...
- يقلقني قليلاً ما قلته الآن.
- لم يجب أن أقول هذا، اعدزني.
- لكنك قلته.
- ...
- أتعلم يا سيدي... الشعر بالنسبة لي هو...
- ...

- كيف أقول لك... أريد أن يقرأ الجميع كل ما كتبت. ستنبهر لو قرأتها، إنها قصائد عظيمة!
- حسنًا، رائع...
- ليست رائعة! أتحدث إليك بجدية! إن الأبيات... أأأأ... تفيض بالحياة عندما أكتبها...
- نعم، أفهم ذلك.
- لا، لا! ثمة شيء يحدث بداخلي. تؤلمني معدتي قليلاً. ماذا أقول لك، ليس من السهل أن أعبر عن هذا الشيء...
- هو هكذا. إن الشعر دائماً يحمل شيئاً شخصياً.
- لو قرأت القصائد لن تصدق ما تقرأه.
- رائع. لدي فضول كبير...
- هل تريد أن تسألني في شيء آخر؟
- لا أظن سوف أتواصل معك كما قلت لك.
- هل ستعلنون عني في كل مكان؟ وسيعرف الجميع أنني كتبت القصائد؟
- ممم... لو قررنا في النهاية أن ننشر مجموعتك الشعرية، سنفعل ما نستطيع.
- من فضلك، سأحب كثيراً لو وضعت بعض الأفيشات على الأتوبيسات...

- هذا صعب بعض الشيء. وضعنا ال اقتصادي ليس في أفضل حال، تعلم...
- لم يخطر على بالي هذا الأمر.
- الوضع العام سيئ، ليس بالنسبة لنا فقط.
- نعم... في أي أمر آخر يجب أن نتحدث؟
- لا أعتقد أنه قد بقي شيء آخر، لقد قلنا كل شيء.
- مستحيل، لا بد أننا قد نسينا شيئاً!
- لا يهم، في المرة القادمة.
- عندما ستكون قد قرأت القصائد.
- نعم.
- سأغادر الآن. عليك أن تقرأها بعناية، من فضلك. لا تظلمني...
- كن مطمئناً.
- سأفعل ما بوسعي.
- وداعاً.

رياضيات II

كنت جنيئاً ممدداً على فراشي الخشبي، وبالرغم من الوعي القليل بالحياة حينها استطعت أن أفهم هذ بالضبط: أنني كنت جنيئاً. زجاجة الرضاعة الدافئة كانت ظرفاً جامداً، كان يجب أن أكل. الناس حولي تتشكل حيواتهم بشكل لم أستطع إدراكه وعلى الرغم من هذا أدركت هذا بالضبط: أن لديهم حياة وأن هذه الحياة تسبب لي النفور، نحو الطريقة التي يعيشونها ونحو البشر الذين يعيشون تلك الحياة. في رأيي، أو، ربما وفقاً لقناعاتي غير المؤكدة، التي لم تتغير عندما كنت طفلاً صغيراً، كنت بالكاد في الرابعة من عمري. ها هم يحيطون بي من جديد. لم يكن هؤلاء الناس جادين، كنت أريد غيرهم. كانوا لا يفعلون شيئاً سوى أنهم يلقون النكات. لكن نكاتهم لم تكن جيدة، ولهذا لم يكن لدي أي شك؛ أن نكاتهم من البداية للنهاية كانت بائسة، كنت أخجل نيابة عنهم، لكن ماذا بوسع طفل صغير أن يفعل، لا يمكنك أن تأخذه بجدية، ولا هو لديه الشجاعة أن يقول شيئاً سيئاً. في السابعة. كنت مستعداً للموت. لقد رأيت كل شيء. في وعيي كنت شاباً ناضجاً يحمل معرفة وثقة رجل عجوز، كانت أحاسيسي أيضاً اكتملت تماماً؛ سبع سنوات في الحياة هي كافية ليتذوق المرء هذا العالم. لهذا وهكذا تلت مراهقتي، بما أنني لم أمت، كنت كابوساً حياً. وصلت

حكمتي إلى ذروتها، وبنفس القدر أيضًا استيائي من البشر. كنت أشعر بالاشمئزاز من كل شيء، ومن نفسي قبل أي شيء؛ جسدي، نبرة صوتي، أصدقائي والمعلمين في المدرسة. كنت أعيش في وهم أن مراهقتي ستستمر للأبد، وأن هذه الفترة يعاد تدويرها وأن كل الشباب سيقفون شابًا حتى نهاية الكون. أسوأ سنوات في حياتي. هكذا كنت أعتقد على الأقل؛ لأنني عندما بلغت الثامنة عشرة بدأت في خوض هذه المعركة الداخلية اللانهائية واندلعت بداخلي فورة ثقة تامة بأنني العبقريّة الوحيدة على قيد الحياة. الأسوأ كان أن البعض اتفقوا مع هذا الرأي، وهو الأمر الذي جعلني قاسيًا وأنائيًا، شابًا فخورًا بنفسه. في تلك المرحلة العمرية تأكدت أنني لن أستمتع فعليًا أبدًا بالنشوات التي يتذوقها البشر الآخرون، وهذا بالطبع كان خطأً تراجيديًا للطبيعة. تولدت في أحشائي تدريجيًا كراهية نحو السعداء الناعمين في فساد السعادة الذين يمتصون رحيق الحياة اليومية بشهية حيوانية. تلفحت بالبطاطين وغطست في الاكتئاب. كانت الساعات تمر بالبكاء ونكاح اليد وشكوى لانهائية. عندما بلغت الثلاثين من عمري شفيت من هذا السم. كل شيء بدأ من جديد. تحولت إلى رياضي عداء. كنت أشعر بالتحسن. تعاضمت ثقتي بنفسي. صرت فائزًا محتملاً. كانت التحديات تتربص على نواصي الشارع. وبهذه القوة كنت أوقع بالكثير من النساء في فراشي وأقيم صداقات قوية مع هؤلاء الذين كنت أكرههم؛ كان الجميع يتودد لقربي وصداقتي بما أنني كنت شخصًا محترمًا. كانت المسرات تستعرض أمام

عيني ولكن تدريجيًا راحت السعادة تنكمش بطريقة خبيثة ولم تعد المتعة بنفس الوضوح والحدة مثلما كانت في الماضي وبدأ بالفعل العد التنازلي. حينها -أوشكت بلوغ الأربعين- حيث حدث ما هو غير متوقع، شيء أثر في حياتي حتى اليوم، في هذه الساعات التي أحكي لكم هذه الحكاية، عجوز مريض على مشارف غروب حياته. بعد مغامرة مع فتاة عشقتها بشدة وبينما كنا قد انفصلنا حديثًا، رأيت أن بطني بدأ يكبر بشكل غريب، وبعد قليل تشكل مثل بطن امرأة حامل. ذهبت للطبيب. لست في حاجة أن أصف مدى دهشته عندما أيقن أنني على وشك الولادة. الرجل الأول الذي سيضع طفلاً، ما زلت أرتعش كلما فكرت في الأمر. ساعدني أبواي كثيرًا في فترة حملي، وأيضًا أصدقائي ظلوا بجانبني في كل تلك الساعات الصعبة. وضعت في الخريف. عندما وضعوا المولود على صدري، أغلقت عيني وانحدرت دمعة على الملاءة المتسخة. كان طفلاً جميلًا. خسارة أن أمه تخلت عنه، لقد رفضت قبول الأمر من اللحظة الأولى. رببت ابني مثلما كنت أحلم دائماً وأنا على معرفة أن هذه الطريقة غير مجدية وأن الطفل سيختار طريقه آجلاً أم عاجلاً. السنوات التي تلت كانت رائعة. منحني الطفل الفرصة لأحلم بالمستقبل، مستقبلي، وأن أسعى لأحصل على نصيبي من السعادة، ونجحت في هذا بشكل ما. إلا أنه مع مرور السنوات بدأت بشرتي تفقد طزاجتها وشعري راح يتساقط وجسدي يفقد الكثير من قواه وقلبي وجد له مكانًا في الظل ليستريح، وكلما اقتربت النهاية، غصت في صفاء وسلام

رحيب كنت أسعى إليه منذ كنت جنيئاً. من الجميل بالنسبة للإنسان أن يعيش جيداً في نهاية حياته. الانطباع الأخير كان قوياً. فذاكرة الماضي المظلم شحبت وغطت على ظلام التعثر. قبل أن أمرض وألتزم فراش المرض، جُبت العالم كله. كل أرض كنت أطأها كنت أقترّب من السعادة أكثر. مع كل جنس من البشر أتعرف عليه كنت أولد من جديد، مثل طفل بريء في بركان يغلي كنت أستقبل الحياة من أنفاس الكوكب الذي ينبض بإيقاع حيوي في الوقت الذي كنت أعد ساعاته. أتذكر بحنين كبير الأيام في المطارات والطرق بأسمائها الغربية والوسادات في غرف الفنادق ومذاقات الأطعمة الشهية. وعندما كنت أعود إلى قاعدتي، إلى منزلي، كنت أخطئ الخروج القادم، وهذه الفكرة هي ما كانت تبقيني حياً وبصحة جيدة. طفلي كبر وكنت أفرح كثيراً وأنا أراه يفرد أحلامه على الورق بهذه البراعة المرهفة واندفاع البشر الأقوياء الممثلين بالوهم واللاجدوى. عندما ساءت حالتي المرضية، نمت لدي فجأة بهجة غير متوقعة. كل شيء سار على كما ينبغي وكنت أنتظر موتاً جميلاً، لم أكن أعرف بما سيأتي. كنت في مواجهة سر كبير. بعد قليل سأعرف الإجابة. بينما كان الطبيب ينتظر نهاية هذه القصة بين يوم وآخر، كنت لدي شعور غريب بالبهجة والتفاؤل، وبينما كنت أحتاج إلى المساعدة حتى لقضاء حاجتي، كانت حالتي النفسية تتحسن يوماً بعد يوم؛ تقريباً كان يأتيني شعور للصراخ من الفرحة، في الوقت الذي كان فيه كل من حولي ينتظرون نهايتي المفجعة. بدأ البعض

يزعم أنني جنت وأنني لم أحتمل شدة المرض وفكرة الرحيل عن الحياة. لم يتسع عقلهم لاستيعاب فكرة أن رجلاً على حافة الموت يمكن أن تغمره السعادة. استطاع طفلي لحسن الحظ أن يدرك الحقيقة أي مدى سعادتي، ولهذا لم يكن لديه قلق بأنني فقدت عقلي. كان ينظر لي بسخرية تأمرية كان تسبب لي مزيداً من الارتياح. لم أستطع أن أعيش أكثر من هذا كانت هذه هي الحقيقة الواضحة بداخلي، لكن يوماً ما قررت أنني قد أنهكت تماماً وإذ إنني لن أرى أي مكان آخر جديد غير غرفة المستشفى، قلت إنه من الأفضل أن أودع الحياة للأبد، الحياة التي غمرتني كانت سخية معي ومنحتني الكثير من أفرانها. أغلقت عيني ورحت أنتظر. كان الأمر سهلاً للغاية، على الأقل هكذا كنت أعتقد. كان جسدي قد تآكل بدرجة تكفي مناقشة أعماق نفسي، صمت لبضعة دقائق حتى أودع الأحياء طواعية. كان هذا ليلاً والجو به برودة لطيفة، غادر الأطباء، انتهى وقت العمل بالمستشفى، قبلني ابني بحنان قبل ساعات، لم يتبق لي شيء في حياتي، كل شيء كان جاهزاً. ليس هناك وقت أنسب للرحيل. كان هدوء الغرفة قد تمدد كالموسيقى إلى أسماعي. صوت السيارات في الخارج كان يجيء منسجماً متناغماً، بين الحين والآخر مع لطف درجة الحرارة. كنت أشعر بالضعف الشديد كما لو كنت أستفيق من حالة ثمالة. كل شيء جاهز للنهاية. بعينين مغلقتين وقلبي تهدأ نبضاته شيئاً فشيئاً؛ كنت أعرف أن هذه هي نومتي الأخيرة. عندما عدت إلى وعيي رأيت ممرضة تقف أمامي. كانت تستعد

لحقني؛ ابتسمت عندما رأتنى أستيقظ. ثمة شيء لا يسير على ما يرام. كنت لا أزال في المستشفى وأشعر أن جسدي قد صار أقوى من اليوم السابق. غمرني الإحباط. لقد بالغت في تقييم قواي... ماذا أفعل في هذه الغرفة بحق الجحيم؟ من المفترض أنني رتبت كل شيء من أجل رحيلي. عندما جاء الطبيب فيما بعد، فهم أن حالتي المزاجية ليست على ما يرام.

"لا أراك على ما يرام اليوم"، قال ضاحكاً ثم أكمل: "خسارة لأن فحوصاتك جيدة. وفي العموم الصورة العامة إيجابية جداً اليوم".

ثم أعطى بعض الإرشادات للممرضة.

نهزته قائلاً: "ما هذا أيها الطبيب؟" استاء من رد فعلي، فقد اعتاد على كوني مريضاً هادئاً ومتعاوناً.

"ماذا تعني؟" سألني بفضول صادق واقترب مني.

"ماذا تعني بأن الوضع العام يبدو جيداً؟ إن صحتي سيئة جداً، لا يحتاج المرء عقلاً كبيراً كي يفهم هذا...".

"لا أفهمك"، أجاب الطبيب.

من أسلوبه كان واضحاً أنه ينتظر تفسيراً لسلوكي الأحمق.

"أقول...". قلت وأنا أرفع جسدي قليلاً على وسادتي الكبيرة: "أقول إنه من الطبيعي أن أكون قد مت منذ فترة. كفى إلى هنا، ليس هناك سبب لنؤخر الأمر أكثر من هذا...".

ضحك بارتباك

"ربما سيجب أن تنتظر قليلاً"، قال وبينما يخرج من الغرفة أضاف: "لم تكن حساباتك جيدة. الأمر رياضي بحت...".

الليلة التالية بدت لي طويلة جداً لا تنتهي. أمر رياضي بحت إذًا. حاولت أن أحل مسألة رياضية، هناك خطأ ما. ضربت سنوات طفولتي في سعادة مراهقتي ثم طرحت الناتج من كمية البهجة والنعيم التي تلقيتها أثناء رحلاتي وقسمت الناتج على رقم السنوات الفارغة، تلك السنوات التي ضاعت مني وكانت بالفعل وقتاً مهدراً، لم أشعر بها في الحقيقة. قمت بهذه المعادلات لكن ربما وصلت إلى نتيجة يوتوبية كان على الأقل لا يقودوني للموت. حاولت مجدداً. أضفت الاكتئاب على بهجة تجارب الحب ورفضى أن أعيش في رغبتى القوية الحقيقية نحو البشر وطرحت سنوات الشيخوخة وأيام الرضاعة، مراراً وتكراراً، شغفي بالمادة ونشوة الجسد والطعام، تضاعفت كلها بسبب عدائي، وكراهيتي لمن لم يحابني، وحقدى على التافه، وأخذت الراحة والسلام والثرثرة وأيام الأمل والأحلام. في النهاية، عبقريتي الرياضية تحولت إلى معادلة فسامية حمقاء بلا معنى ولا منطق، لم تخرج أي نتيجة محددة. وعندما انتهيت إلى نتيجة ما على أي حال، صارت حينها المعادلة أكثر تطلباً، مع قواسم معلقة وأفعال غير مكتملة تنتظر التنفيذ. حل عليّ تعب كبير دون أن أدركه. لكن المؤكد هو أمر وحيد: كنت لا أزال على قيد الحياة.

7

الانتحار

الأسبوع التالي أثبت مع الأسف أن أمنياتي لحياة سعيدة محتملة في إطار "عادي"، أي محاط بالأحباب وعائش بإيقاع يومي طبيعي نوعًا ما، كانت محض أوهام منحتني بعض الأيام السعيدة لكن في النهاية لا شيء أكثر من هذا. دون أن أستطيع أن أفسر التدفق العاصف لما يحدث بداخلي، بدأ موت مفاجئ في الظهور، شريط مظلم راح يمزق أعضائي. سقطت على الفراش. لم يكن لدي مقدرة على الكلام ولا الاستمتاع بصحبة مايكل، ولا بالطبع أن أعمل. مرضي حطم كل ما تبقى لي. لم أكن أرى شيئاً أمامي سوى سقم وظلام. مايكل، كأخي، صامت ومهذب، كان يحضر لي القليل من الشاي كي أبلل شفتي، وكمادات باردة يضعها على جبھتي ويجلس صامتاً على حافة الفراش لساعات يراقبني. ربما كان هذا هو الواقع الملموس، معرفة عميقة بأن كل ما تخيلناه وكل ما عشناه بقوة قبل أن نعيشه، كان محض بعد آخر؛ حلم لحياتنا، الآن كان الحاضر الذي جاء ليثبت أن هذا الألم الخيالي هو حقيقة وأن كوابيسنا التي تتربص منتظرة دورها.

كنت هادئاً جداً. غارقاً في الاكتئاب، أعمى من فرط الضغط، مع روجي خارج جسدي، لكنني هادئ. لم أستطع أن أضع أي شيء في فمي، فقط قليل من الشاي الدافئ كان يسقيه لي مايكل قطرة قطرة. مرة أو مرتين احتجت للنهوض، المرة الأولى لأنني ظننت أنني أريد أن أذهب إلى التواليت والثانية كي أتصل بطبيبي

لكنني ندمت وعدت للفراش كدت أسقط على الأرض من الضعف والرفض. في المرات القليلة التي حاولت وبالطبع، حتى مصادفة، سأقول أن أفكر بعقلانية في هذا التحول في حالتي النفسية لم أصل إلى أي نتيجة حقيقة أو آمنة. ذاب عقلي وأفكاري كانت تندفع من داخلي كخضراوات نيئة، رأسي صار علبة طرية، جمجمة فقيرة، على وشك الاصطدام بالأبدية. ومثلما كنت متفوقاً في الفراش كنت أشبه جنيناً مسكيناً، كان منظري مضحكاً، منظر بائس، ظل لنفسي. حتى مايكل ذبل هو الآخر وأنا؛ لم أكف عن الاعتذار له... لم تعد لدي مقدرة حتى على التنفس من التعاسة التي مزقتني ولذا قلت له أن يرحل، أن يجد بيتاً آخر لأنني لم أعد حاضرًا، أنا ميت، لم أستطع أن أفعل شيئاً لأي أحد، لم يكن في حاجة لي. لكنه لم يرحل؛ لم يرحل. كان يمسك يدي عندما أئن من ألم غير مرئي، ألم أشبه بطعنة في أمعائي، كمسمار ملوث يسبح في قلبي. حاولت أن أبتسم ولم أستطع، احترمت كرامته وأنه لم يحاول ولو مرة أن يعيدني لوعيي، كان يفهم ما يحدث فقد قلت له في البداية: إن البشر الذين يحبونك هم الذين لديهم ذكري حياتك.

عندما مر أسبوع على هذه الحالة وبينما كان يأتي جو بين الحين والآخر وكذلك السيد مين ويسألون ماذا يحدث فهمت أنه يجب أن أتخذ قرارًا. كان مساء الخميس، كان مايكل نائمًا متعبًا أن يكون طيلة اليوم بجواري هو عمل شاق لا محالة نهضت من على الفراش كشبح عاجز، نصف إنسان، نصف ظل، ووصلت إلى الحمام.

كنت أبقى على عيني مفتوحتين بصعوبة، لم أتناول أي طعام لأيام، فتحت دولاب الحمام وبحثت بعشوائية عابثاً في العقاقير في الدرج الأول. لم أجد ما أردته. أخذت نفساً ونظرت أسفله. وجدته. علبتان من عقار إيفكسور وعلبة من عقار بريستيك. كانتا مغلقتين. لم أستطع أن أفتح أيّاً منهما كان البلاط يشحب أمامي على الأرضية. استندت بيدي اليمنى على الحوض حتى لا أسقط. لم يشعر مايكل بشيء. فتحت العلبة الأولى وتناولت كل الحبوب. بعد ذلك الثانية ثم الثالثة. شربت ماء من الصنبور. لم أكن متأكداً أنني أديت واجبي. فتحت بعصبية العلب التي وجدتتها أمامي؛ لحسن الحظ كانت كثيرة. تناولت كل الحبوب، كان فمي ممتلئاً بأدوية كثيرة لا تعد، ابتلعته ثم أكملت. بعد قليل ما كان طبيعياً، وقعت مغشياً عليّ. بقيت هناك ست ساعات عندما استيقظ مايكل في الصباح وفهم أنني لست في الفراش. خرج للشارع وبدأ في الصباح. أول من سمعه كان جو، الذي ركض مذعوراً ليرى ماذا حدث. أرشده مايكل إلى الحمام حيث كنت واقفاً مغشياً عليّ. ارتعشا من الرعب. ذهبا بي إلى المستشفى، حيث حاول الأطباء أن يساعدوني بغسيل معدة متكرر. كنت في غيبوبة لثلاثة أيام حتى يوم الأحد التالي، في الخامسة مساءً، مت. كان مايكل وجو واثنان من الجيران حاضرين. الحزن كان كبيراً؛ لم يستطيعوا أن يصدقوا ما حدث. أعلن الأطباء الخبر بوجوه حزينة. قالوا إن جسدي لم يحتمل وإن العقاقير النفسية التي ابتلعته كانت كثيرة وللأسف كل الأمور ساءت. خرج الثلاثة وذهبوا إلى منزلي حيث

جلسوا صامتين على الأريكة حتى المساء. بدا مايكل تائهاً مثل حيوان أليف تاه من صاحبه، كان ينظر يميناً ويساراً في حزن وعجز، انحنى جسده وراح يفرك عينيه من التعب والحزن، جفت شفاته ولم تكن هيئته تشبه مايكل في الأيام الأخيرة.

جنازتي رتب لها أن تتم بعد يومين. لم تكن المدافن بعيدة عن البيت؛ كانت تقع غرب محطة السكك الحديدية. كان يوماً جميلاً، المقابر كانت مزدحمة، عزاءات وجنازات كثيرة. بشكل عام كانت الأجواء رائعة في المقابر التي خيم عليها السكون والوحدة. راح الهواء الساخن يضرب الأقارب الحزاني السائرين على الدروب بين القبور بخطوات نشطة. أما جنازتي فلم يحضرها الكثيرون: مايكل والسيد مين وجو وعمه الذي كان لا يزال في المدينة وعلم بالأمر، السيدة دينا وثلاث نساء من معارفي جئن بعدما علمن بالخبر الحزين. على الجانب الآخر، كان طقساً بسيطاً، كل شيء كان منظماً. كانت جنازة محترمة، بلا أي مبالغات. تقدمها مايكل وبجواره السيدة دينا التي كانت تتنهد طيلة الوقت وجو وخلفه عمه على مبعدة عشرة أمتار وخلفه بعض الأصدقاء وآخرهم السيد مين الذي بدا عليه التعب الشديد. التابوت الخشبي انزلق في الحفرة بسلاسة. كانت هذه هي اللحظة المنتظرة، لو كان أحد يتابع بدقة حياتي ورغباتي. حولي كانت هناك قبور لا تحصى، مدينة من الموتى، الأمر حقيقة لا يصدق. الأمور صعبة. بعد الدفعة عرج أصدقائي نحو باب الخروج من المقابر. لم يتحدثوا، ليس هناك ما تقوله في تلك الساعات. مايكل كان أكثرهم تيهًا. وضع

جو يده على كتفه وسارا معاً. السيدة دينا كانت دامعة وابتعدت قليلاً عن الآخرين وراحت تسير بخطوات بطيئة كما لو كانت أقدامها تلتصق على الشارع الترابي. ذهبوا وجلسوا على أحد المقاهي الصغيرة. السيد مين نام تقريباً على مقعده، بينما جو راح يهز رأسه كأنه يؤكد على عدم جدوى الحياة. بقية الأصدقاء راحوا يشربون قهوتهم في صمت ثم غادروا برؤوس منحنية. كل شيء انتهى. لم يستطع أحد تقبل حقيقة أنني غادرت العالم في غضون أيام قليلة. سريان حياتي في الفترة الأخيرة لم يكن يشي بأن شيئاً كهذا كان محتملاً، الاكتئاب والسوداوية تركا مكانهما للنور والسعادة، لكن الحقيقة أنه ليس هناك ما هو مطلق. زلة صغيرة كانت كافية ليحدث ما حدث. خطتي وضعت قبل سنوات. كنت فقط أنتظر الظرف المناسب لتنفيذها وتحقيق هذه النشوة من أجلي. كان موتي وعداً بعيداً قطعته لنفسي أكثر منه حدث حزين، استمرار لرحلة متعددة الأبعاد بلا نهاية، محض ترتيب داخلي، فرصة لأروض الزمن بداخلي. منذ كنت طفلاً صغيراً، كنت أحسب الفوضى التي يحملها الأمل والتوقع، إلغاء الأفعال، وأنني لست ما كنت عليه، وأنني بشكل عام لن أكون ضحية لسحر الغواية التي كانت تمارسه علي صورة النهاية، لا يمكن أن تصير محسوسة سوى من خلال رعشة نشوة الاندفاع في فكرة الاختفاء النهائي. تقريباً كانت أحشائي ترتعش من شعور نشوة غير مسبوق. كان من غير المجدي أن أسعى إلى تأثر أكبر من هذا في الأفعال البشرية. العشق والصدقة والأمل وكل هذه العوامل

والمعطيات التي تقدم لي تهدئة مرضية، لكن حدودها محددة مسبقاً. درجة المتعة فيها كان لها حد دقيق ومعلوم، وهكذا ومن مرحلة ما فصاعداً تحولت النشوة إلى لعبة توافقية محدودة.

عاد مايكل إلى المنزل وحده. جلس على الأريكة ولم يقم من عليها حتى منتصف الليل. عندما قام راح يسير في البيت والغرف والمطبخ والحمام ثم خرج وجلس في الفناء تحت شجرة البلوط، تلك الأيام التي عشناها معاً منذ تلك الليلة الصيفية الباردة عندما زارني لأول مرة. بالنسبة له كانت الحياة خالية من القواعد، ولا حدود زمنية. كان إنساناً بلا وعي فيما يخص الطريقة التي يحدث بها الواقع، بلا شكل، كان كلوحة مرسومة، مثل زهرة، قديس بين الشياطين. تتوقع مثل جرو في الفناء وراح يبكي في حزن طيلة الليل. تشبث بالأرض بكفيه وظهره خدشته الشجرة العجوز وحتى الفجر كان قلبه يفزع في كل مرة يرسم فيها شكلي في عقله البريء.

عندما بزغت الشمس شعر بالتعب يثقل جسده وكأن شرنقة قاسية قد ولدت على جلده. لم يحتمل التواجد في الفناء، دخل إلى البيت وبحث عن فراشي. سقط عليه ونام ساعات كثيرة حتى مساء اليوم التالي. نهض وألقى نظرة على قصائده ثم خرج مجدداً إلى الفناء ليقتل الوقت. بعد نصف ساعة عدت أنا. بعد كل هذه المعاناة كنت مرهقاً للغاية، كنت أحتاج إلى الراحة بكل تأكيد. عندما رأني مايكل احتضنني بقوة. كان تأثره واضحاً في كل حركاته. أول شيء

فعلته هو أنني صنعت القهوة، لي ولمايكل بالتأكيد. استرخينا على أريكتنا المفضلة ورحنا نتجاذب أطراف الحديث.

قال لي في محاولة ليكسر الارتباك في بداية أول حوار لنا بعد موتي:

- "جرحني كثيرًا ما حدث".

- "أعرف... أعرف أنني كنت في قلبك. وأنا أيضًا... إن ما حدث قد حدث، انتهى الآن، مر. لكنني قد قلت لك إنني أخطت لانتحاري منذ فترة طويلة. لو لم أفعلها كانت ستظل رغبة مكبوتة داخلي".

- "على الجانب الآخر، لم تكن مخطئًا، حسنًا فعلتها الآن حتى لا تفكر في المستقبل".

كانت القهوة ألد قهوة شربتها على الإطلاق. كنت سعيدًا بتواجدي في بيتي، كل شيء سار كما ينبغي، نجحت محاولتي في الانتحار، حدث الموت وتمت الجنازة بلا أي مشاكل والآن أن جاهز للفصل التالي من حياتي. ومايكل فهم هذا تمامًا. كان ينظر إلي بنظرة حنون مفعمة بالريية والتأمر، كما لو أراد أن يقول لي بنظرته الثاقبة إنه أمامنا مغامرات كثيرة ويمكننا الآن أن نعمل بذهن صافٍ إذ إن العائق الذي كان أمامنا قد زال تمامًا.

- "كيف كانت جنازتي؟" جرؤت وسألته، كنا متحمسين بما يراه هو في المستقبل القريب، وهكذا لم أتردد في طرح السؤال.

- "لم تعجبني أبداً"، قال مايكل، "كنت في حالة يرثى لها، لم أستطع التنفس. عندما رأيتك وهم يضعونك في الحفرة لم أحتمل، أشحت عيني عن المنظر. كان المنظر لا يصدق... لحسن الحظ الدفن حدث بسرعة، لم نكن في حاجة إلى أن نمكث هناك كثيراً، كان سيغشى علي لو بقينا هنا وقتاً أطول...".

- "هل حضر كثيرون؟".

- "لا... أنا وجو وعمه والسيد مين وصديقتي وثلاثة أصدقاء آخرين...".

- "وطبيبي؟" قلت مندهشاً.

جحظت عينا مايكل:

- "لا! لقد نسيتته... لا أظن أن أحداً قد بلغه. كنا في حالة حزن شديدة، لم نفكر بالأمر. آسف...".

- "حسناً، لا يهم. ربما من الأفضل ألا يعرف. قد يتضايق بأن أحداً لم يخبره. لا تخبره إذا تصادف وقابلته أبداً".

- "لا، تمام، لا تقلق...". قال مايكل واستمر في شرب قهوته وهو في مزاج رائع.

بعد ذلك، رأيتته متردداً، كان يريد أن يقول شيئاً لكنه لم يجرؤ، في النهاية سأل:

- "أردت أن أسألك... كيف كان التابوت؟ عمومًا كخبرة، كيف

كان موتك؟".

- "سأقول لك... لا تفهم أمورًا كثيرة وأنت في هذا الوضع. ربما الملل. تختفي لبعض الوقت، لكن ليس هكذا بالضبط. لا يمكنني أن أصف لك بالتحديد... لكن الأمر ليس سيئًا، لا يمكن أن أتذمر. دعك من كل هذا، أنا متعب جدًا، يجب أن أستريح كي أذهب للعمل غدًا".

- "وأنا. وإن كنت قد نمت، إلا أنني في حاجة للمزيد من النوم" أضاف مايكل، وبعد كل هذه الأحداث المتعبة في الأيام الأخيرة، ذهبنا للنوم.

خيم علينا الليل بحزن عميق ولكن بحماس خفي لليوم التالي. آلاف الأفكار كانت تدور في عقلي، لكنني كنت متعبًا للغاية من الجنازة وكل ما مررت به منذ انتحرت.

وضعت رأسي على الوسادة الطرية فغصت مباشرة في ألطف نوم في حياتي كلها.

ألم البشر

صديقي العزيز،

كيف حالك؟ أريد أن أستهل خطابي بالاعتذار لك عن التأخير، لكن رسالتك وصلتني أثناء غيابي عن المدينة. قرأت بعناية كل ما كتبت وأدرك مدى خجلك لكن أعتقد أنك تبالغ. لم تفعل أي شيء سيئ، لكننا نرتكب أخطاء، الأمر ليس عظيمًا. يمكنك أن تلاحظ الناس حولك وتفهم هذا. لا أحد منهم يقبل أنه مصنوع من مواد رخيصة، طبقة من اللحم وبحيرة من الدم. لا تحزن ولا تتضايق بسبب سلوك خاطئ كان يمكن أن يرتكبه أي شخص في مكانك. أما الندم؟ أليس هو شعور سانج ودائمًا فيه من التظاهر؟ لا أتحدث عنك، فلا تغضب، تعرف كم أحبك. لكن من لا يعرف أن الندم هو محض معاهدة توفيقية للعمى؟ إلى أي مدى سنبقى عميان؟ هل يمكن أن يندم المرء في الحقيقة على شيء فعله والآن يعيد التفكير فيه؟ ستندم، ستعيش بضعة ليالٍ كابوسية، تلك الليالي التي تصبح فيها حياتنا أجمل من قصيدة لم تُكتب بعد، حينما لا تنغلق الجروح والحقائق المرعبة التي ينتجها الجسم البشري والأسرار غير المرئية المخفية في دماغنا. تعلم عن أي ليالٍ أحدثك؛ عندما يكون لدى المرء الانطباع بأن الحياة أطبقت عليه حتى مجيء الشروق، ببطء معذب يولد بداخله شخص جديد

ممتلئ بالأحلام والآمال. لكن، هذا الإنسان الجديد فلت من رباط الذنب الذي تركته خلفه الليلة، ليس لديه ذاكرة ويهرول مسرعاً نحو ذاته السابقة، نفس الذات التي كانت تلعن الليل. لكن لا عليك، لا يهم، هكذا هم البشر: يستفيقون ويقررون التغيير الكبير بداخلهم. إنه لمن السذاجة أن يصدقوا أنهم يقررون بأنفسهم وليست تلك الآلة المفترسة التي تطحن شعرتنا وأسناننا، وتمتص الدم وتجفف الجسم من كل نضارته، وكل ما تبقى لنا هو أنه لا يزال، في الوقت الحالي، نحن على قيد الحياة، فرصة أخرى لنكرر هذه الدائرة التتابعية القميئة. البشر ليسوا أشراراً، لا تسئ فهمي، البشر ليسوا أحياناً، لا تسئ فهمي، أقول ببساطة إننا ننخرط في أوهام ونظن أن الحياة التي نعيشها تؤول لنا، وأن ذواتنا تشكل الوحدة الحيوية للوجود الذاتي والاكتفاء الذاتي تتجول بين ذوات أخرى. لكن هل هناك شخص يصدق هذا؟ انظر يا صديقي لما يحدث حولك. ألا تنساق خلف القطيع على أكثر المنحدرات زلقاً؟ من يستطيع أن يقاوم هذا؟ لو قاومت، أنت لست حياً. الأحياء لا يقاومون، هذه حقيقة واضحة. البعض ينحرف عن مسيرة القطيع وهو أمر مبهج بالنسبة لك إذ وجدت رفيقين في هذه المغامرة، لكن أن تعتقد أن لديك السيطرة على تدفق العاصفة الشيطانية يبين أن ليس لديك أي نوع من الكرامة تعتذر عن رسالتك وسلوكك، وتقول إنك ظلمت بعض الناس من بينهم أنا وأنتك تشعر بالأسى إزاء هذا الظلم وتود في تصحيحه. سأقول لك أولاً شيئاً قد لا يعجبك كثيراً ألا تريد التصحيح. ماذا ستصحح؟ هذا لا يحدث.

وقد ظلمت، كما تقول. لا تبحث عن العدالة. فهذا هو الحماسة بعينها.. لا شيء يحدث على أساس العدالة. هل ترى حولك، العدل يسود؟ انس هذا. لو تشعر بالاستياء، يمكنك أن تدعونا للعشاء، هكذا سيشعر الجميع بالتحسن. لو قمت بمحاولة للتفكير في المستقبل، ستنسى كل شيء له علاقة بالشعور بالذنب. ففي مستقبلك لا نوجد نحن، لا يوجد أي شخص يضايقك. فقد بنيته بدقة متناهية، ليس لديك ما تخشاه سوى الواقع، بالطبع، الذي سيأتي ليدمر لك كل خطتك. في المستقبل لا يوجد ألم، البشر ينظرون إلى مستقبل غير إنساني، مستقبل ميكانيكي، بصورة يوتوبية للعالم ملموسة جداً بقدر جزء من ثانية في حلم. هناك إذًا، لا توجد ذنوب ولا ألم ولا أخطاء، لا توجد أخطاء على الإطلاق، أخفيتها كلها. أليس هذا أفضل؟ أصنعه على أفضل ما يكون قدر ما تستطيع، فهو لا يضايق أحدًا. ولماذا تضع فيه أخطاء لا تك أحمق. إلى أين تنتهي إذًا؟ إلى لا شيء بالطبع، أو ربما إلى أن أحلام اليقظة هي الأمل الوحيد للطبيعة البشرية. هذا ليس سيئًا. ليس هناك جيد ولا سيئ، فببساطة إن هذا الشيء الذي نسميه الحياة يتمدد أمامنا غير عابئ بالتبعات الأخلاقية التي نحمله بها. أتريد أن تشعر باليأس مما فعلت؟ لتكن إذًا. تريد أن تنسانا وتستمر في حياتك كأن شيئاً لم يكن بلا أي ضوابط؟ افعل هذا. لا شيء يهم، فتصرفاتك تنعكس فقط عليك أنت. الحالة الوحيدة التي يمكن أن تمسنا فيها هي أن تلتقط مطرقة وتفتح رؤوسنا. حينها سنستطيع أن نشعر بثقل ما تحمله. أنت شخصية لطيفة،

على الأقل في عيوننا. وجهك وجه طفل، لو أن هذا يعني أي شيء. وحركاتك لا تنم عن شر أو تشاؤم أو عدوانية، أنت حيوان لطيف، ولو كنت قد أسأت التصرف، فهذا الأمر لا يعني شيئاً مطلقاً. أريد منك معروفًا: أن تنسى ما حدث ولا تبالِ لشأننا. لو فعلت هذا ستخلصنا نحن أيضًا كما ستخلص نفسك من أي ندم وأي مشاحنات وانتقامات ومغامرات عبثية. إن قسوة العالم لا يمكن أن تنتهي في خطاب. لا أعرف لو كنت قد انتبعت لهذا الأمر، لكن لا أحد يمتلك ذاكرة حديدية في الحقيقة. النسيان هو درع نرتديه حتى لا يهجم كل منا على الآخر، حتى لا نتلف أبداننا غارقين في الأنانية والسم الذي تخلقه الرغبة الكبرى. سيكون من الجيد أقول هذا لك وأنا أكبر منك وأكثر خبرة، يالها من مزحة! سيكون من الجيد إذًا أن تحاول أن تشحن حواسك جيدًا، فهي الشيء الوحيد الذي من الموت وأنت على قيد الحياة. أن تنشط حواسك، لو أن طعم اللحم المطهو جيدًا لا يزال لذيذًا في حلقك ولو أن جسدي يقشعر من لحم الفتاة الرقيق، لو ترى بوضوح الأفق الذي يمتد أمامك، ستكون قد نجحت في شيء ما، أن تكون حيًا وموجودًا بشكل ملموس. أفكر دائمًا في البشر الذي ضاعوا من على هذا الكوكب. كم من البشر، أجيال كاملة وعائلات كبيرة مجتمعة حول مائدة وضحكاتهم المبهجة تسمع من على بعد كيلومترات، والفتيات العاشقات ببشرتهن الناعمة، العشاق الذين يعانون كي يجدوا حلولًا ليعشوا معًا، العمال المنهكون الذين يصحون وينامون ويحلمون، أناس وأبدان، كلمهم اختفوا، تبخروا تحت ثقل

الزمن. كانوا متأكدين من قوة الحاضر، ولم يتركوا شيئاً خلفهم، لكن، قصيدة جميلة أو إبداع فني، شيء سنتذكر به أسماءهم، كل هذا يصبح غباراً مع مرور الزمن، أفواج من البشر كانوا يتنفسون مثلما تتنفس أنت، بنفس الحزن على ضياع الوقت ونفس الشوق لمستقبلهم؛ والأعظم من كل هذا: بوهم أنهم يعيشون حاضراً فريداً، أن الزمن يتعلق بهم وحدهم، مثلما لديك أنت نفس الوهم بأن الزمن يؤول لك. لا أعرف لو كنت قد عرفت، لكن أنا الآن مريض، وكما يبدو لن أنجو. لكن الأمر لا يبدو سيئاً بالنسبة لي. كل المحاولات والحيل التي بذلتها كي أشعر بالحزن، لم تنجح، لدي شعور جيد، ربما أفضل من أي وقت مضى. هذا ربما يرجع إلى أنني قد أصابني السأم. لقد مللت بشكل كبير؛ كيف ستكون حال الطقس، من سينجح في الانتخابات، أصحو مبتهجاً، أصحو حزيناً، عدل مزاجي أو أفسده فيما بعد، هذا النظام دمرني، بعد قليل سينفجر رأسي من الرتابة. لا يمكن أن تتخيل مدى الخجل الذي تأتي به حياة كهذه. لقد حوصرنا في أجسادنا ولا شيء يُحركنا من هنا. أي قدر هذا! على كل، أنت لا يزال لديك الوقت، أنت شاب وذكي، ستجد وسيلة لتهرب من كل هذه الأفكار؛ لأنه ولكي تعرف، أنك ستهرب فقط من الأفكار، لا تغتر. هنا علي أن أنهي هذه الرسالة، صرت أتعب من الكتابة، صحتي تسوء بين اليوم والآخر، وهذا هو الخبر الوحيد الجيد لدي في الفترة الأخيرة. كما قلنا، انس كل شيء. فنحن قد نسيناه بالفعل.

8

فہرستہ
♦♦♦♦♦♦♦♦

السعادة الغامرة التي يشعر بها المرء عندما يعود إلى الحياة لا يمكن أن توصف بالكلمات. استيقظت سعيداً جداً، حتى إن خطواتي كنت تشبه رقصة مصممة. كنت أستعد لأذهب إلى المكتب وأنا أشعر بجسدي خفيفاً للغاية، حتى كان يسبق أفكاري. وصلت إلى العمل ولاحظ الجميع أن وجهي مشرق. كان يوماً صعباً، الكثير من العمل حتى إنني لم أفهم أن وقت الظهيرة حل. كل شيء بدا نموذجياً. كنت فقط أتوق للعودة إلى البيت وأعيش وأمتص كل قطرة من رحيق الحياة. وهذا ما حدث. عندما عدت إلى البيت لم أجلس لحظة واحدة في مكاني المفضل. أخذت مايكل وذهبنا إلى وسط المدينة. لم نفقد لحظة واحدة من البهجة التي كانت تطرق بابنا. كان مايكل يتبعني دون أن يبدي أي تساؤل. مررنا على المحطة، ضوضاء وركاب كثيرون لم أفهم أبداً إلى أين يذهب كل هؤلاء مشينا حتى وصلنا إلى الجسر الجميل؛ وهناك كان جمع كبير من البشر، الصيف يعني الشمس وضرورة الخروج، سكان هذه المدينة المضحكة كانوا ينتشرون كالحشرات ويسعون نحو كل جزء من السعادة يمكن أن تحمله أجواء النور والخمول الصيفية. كان الجسر ممتلئاً مما يجعلك تفكر إذا كان سينكسر من ثقل البشر الواقفين عليه. اشتريا السكاكر ورحنا نسير حتى وصلنا إلى منطقة المقاهي عند آخر الجسر. حتى نزهتنا هذه لم تكن كافية. أردت شيئاً أكثر منها. طاقتي الداخلية لا تنضب، كان يجب أن أوجهها نحو شيء ما،

وإلا سأنفجر كليةً.

- "مايكل، ماذا سنفعل؟ لا أريد أن أعود إلى البيت، هل لديك فكرة ما؟" سألته بينما كنا نأكل المثلجات من أحد المحال على الطريق.

- "لا تريد العودة للبيت؟ لكن لماذا" سأل مايكل بسداجة طفل. فضحكت.

- "أريد أن أقول إنني في مزاج رائع وسأحب أن نفعل شيئاً مختلفاً اليوم، ما رأيك؟".

- "نعم، حسنًا..." أجاب دون أن يكون متأكدًا.

نادل مهذب سألنا لو كنا نريد أن نطلب شيئاً آخر. كنت مستعداً للرفض، لكن مايكل طلب أيس كريم آخر.

- "ماذا بك؟" قلت له. "أكلنا حلوى من قبل، سيؤلمك بطنك".

- "لم أجرب مثلجات بهذه اللذة من قبل!" قال حجته القوية وبعد قليل التهم الأيس كريم.

- "هيا بنا!" صحت حينها وجذبتة من كتفه. غادرنا كما لو كنا مطاردين. بدأت في الهرولة نحو مصب النهر. تبعنا الدرج في نهاية الرصيف الذي يصل على الضفة أمام القوارب. "هل نؤجر قاربًا!" قلت وانفجرت ضاحكًا. بحثت بعيني عن الشخص المسؤول عن القوارب. وجدته تحت إحدى المظلات

على بعد أمتار منا. أبدي مايكل انزعاجه قليلاً.

- "هل تستطيع استخدام المجاذيف؟ أنا ليست لدي فكرة، أخاف قليلاً..."

- "لا تكن ساذجاً، الأمر في غاية السهولة، اترك هذا الأمر لي..."

هدأته وساعدت الرجل لندفع القارب نحو النهر.

أشرت لمايكل بالصعود وأمسكت بالمجاديف بقوة ثم ركل الرجل القارب بقوة وصرنا أمتاراً داخل النهر. من هناك، كان منظر الجسر الكبير مبهرًا. منظر البشر فوق الجسر كان أشبه بلوحة فسيفساء رائعة، بينما داخل القارب كنا قد ابتعدنا عنهم كثيرًا. لم تكن حولنا قوارب أخرى، كنا وحدنا. كانت المجاذيف ثقيلة، لكن بشيء من المرونة استطعت استخدامها دون أي مشكلة. كان الماء صافياً وهادئاً، لهذا لم نحتج سوى ثلاث دفعات قوية حتى نبتعد أكثر. خشب القارب كان قاسياً وكثيفاً وكأنه لم يتأثر أبداً بالماء والرطوبة. أقدامنا كانت تطفأ في منتصف القارب، لم يكن من الصعب أن أسحب المجاذيف، لكن بسبب قلة خبرتي وقلة الممارسة كنا نسير ببطء عن المعتاد. لكننا لم نهتم لأمر السرعة ولا لأي شيء آخر سوى أنني أنا وصديقي العزيز في القارب، وهكذا تجرأت أن أزيد السرعة حتى ذهبنا إلى مكان أعمق وأبعد، حتى نشعر بعزلة أكبر، ولو أن المياه كانت عكرة ولم يكن سهلاً أن نرى أبعد من السطح. بدت بعض أوراق الشجر تسبح على سطح الماء المرتعش بينما بعض الأسماك الصغيرة

في تجمعات كانت تسبح حول القارب. كان مايكل يتمسك بجانب القارب ويسترق النظر نحو الماء. كنت أضحك، بصوت عالٍ، حتى إن صوت ضحكاتي كان يخترق الهواء الساخن وربما كان مسموعاً من على الجسر. شعرت بدموع في عيني من فرط السعادة. كم هو غريب هذا الكون... في يوم نحن مدفونون في التراب واليوم التالي نستمتع برحلة نهريّة بالقارب تحت ضجيج المشاة في الصيف على الجسر. قفزت على الجانب الآخر للقارب تاركاً المجاذيف قليلاً. حينها جاءتني فكرة حزينة جداً، فكرة مهيبة ومرعبة، ليس لأن الفكرة في حد ذاتها مرعبة، ولكن لا، في هذا اللحظة، لحظة استقبال الفكرة في هذا المكان حيث تتحول حياتي تماماً. حينها إذاً، تركزت عيني على هبة ريح حركت المياه الساخنة، قررت أنني لا أريد أن أعيش مثلما كنت أعيش كل هذه السنوات. لم أرد أكثر من هذا. لم أشأ أن أعود إلى بيتي كي أتناول عقاقيري ولم أرغب أن أذهب إلى المكتب مجدداً، كما لم أشأ أن أذهب ثانيةً إلى الطبيب أو أسمع ضجيج القطارات ليلاً أو أن أستخدم نفس الأثاث أو أتناول طعامي في الصالون وأرتدي نفس البيجامة المدرسية ولا أن أستيقظ على صوت المنبه ولا أن أرتب نتائج الاستطلاعات التافهة، لم أرغب في أي من هذا، لا شيء، لا شيء. ليس لأن حياتي كانت تافهة أو مقرفة، فهي لم تكن كذلك؛ لم تكن حياة كريهة، لم أكن أحياء في كابوس. لكن لم يكن هناك سبب ليستمر كل هذا، لم يعد أي من هذا يهمني، وفي حالة إذا ما استمرت على هذا المنوال ستجلب لي حزناً عظيماً.

عرفت لا جدوى الأشياء وألم الساعات والأيام وانكسار القلب عندما يحل الليل على رأسي ولكن لم يكن لدي مخرج باستثناء الخروج النهائي عن المؤلف. عرفت أن حياة كنت سأختارها في النهاية كنت سأمل منها، كنت سأسعى للهرب منها. لكن هل لم أكن مصنوعاً لهذا؟ من كنت أنا كي أبوح بعلل طبيعتي؟ لماذا لم أرحل إذًا، وأوجع الماضي دون أي ميول للحنين والحزن. اتخذت القرار. كنت واثقاً في داخلي. اهتز القارب وترجرج، عدت إلى مكاني وسيطرت على المجازيف. ابتسمت لمايكل بمغزى. فهم هو أن شيئاً ما يحدث بداخلي لكن لم يقل شيئاً. فقط أوما لي بالانتباه للقارب. ابتعدنا أكثر وفقد الجسر هيئته من بعيد حيث بدا كما لو كان شارعاً مرتفعاً، بناء غريب نشأ من العدم.

- "مايكل، كيف تشعر؟" سألته. "هل تشعر بأي نوع من السعادة؟".

فكر قبل أن يجيبني:

- "أنا على ما يرام. لست سعيداً، لا أريد أن أكون... أخشى من هذا الشعور، فهو لا يكفي أبداً... لكنني سعيد، أحب حياتي، ليست لدي شكوى. نحن نعيش جيداً".

لم يسهب في حديثه. تركت أحد المجازيف معلقاً من القارب في الماء وأمسكت الآخر بقوة ورفعت كفي لأحب الشمس ورحت أتأمل الأفق.

- "غريب هذا الصيف"، قلت وغمر دمائي حزن بهيج.

- "نعم"، اتفق مايكل وهو ينظر إلى سرب من الأسماك يعبرنا.

للحظة أردت أن أحدث مايكل عما أفكر فيه، وعن هذه اللحظة الغامضة التي أضاءت روحي، لكن تراجع في التو... لكن لمن سأحكي هذا؟ أمامي شخص تحول بالفعل إلى ذاته الأخرى. كان مايكل جاكسون؛ والآن هو معي في نزهة نهريّة. لم يكن لدي ما أقوله له، أن أعلمه التحول والتغير، هو يعلم، ليس في حاجة لي كي أشرح له. على العكس، خلال مرحلة التخرج هذه وهذا الكشف الشخصي، كنت أنا الذي فهم واستوعب أخيراً مايكل الذي جاءني لسبب واحد فقط: كي لا يكون نفس الشخص الذي كان عليه في السابق، لكن ليأكل من طعامي ويحتضن السيدة دينا ويكتب شعراً. هذه هي الحقيقة الكبيرة والبسيطة.

- "لتصبح شاعراً كبيراً!"، قلت له فجأة فلمع وجهه. "أعرف أنك

تريد هذا كثيراً... يجب أن تكتب طيلة اليوم. سوف تنجح".

- "أكتب، لا أفعل شيئاً آخر..." قال مايكل وهو يوجه لي ابتسامة

عريضة. "هل احتاج الأمر لأن تموت كي تكون سعيداً؟" سألني ثم انحنى ليبلل يده بينما كنا نمر على مياه خضراء جميلة.

- "دائماً ما نحتاج إلى سبب كي نحقق شيئاً"، أجبت ثم توقفت

عن التجديف، أوقفت القارب وتمددت على مقدمته المتسخة.

كان المنظر أجمل من هناك؛ كنت أرى جزءاً من صفحة السماء الصافية ومياه النهر تتناثر على وجهي. أحب مايكل حالتي المزاجية، ولو أنه لم يعتد علي هكذا؛ كان يتابعني كأنه يرافق أحد أبطال فيلم. لم أشأ أن نعود لليابسة، كان الإحساس فريداً اليوم على قاربنا، لكن الوقت قد تأخر.

كانت لا تزال لدي طاقة كبيرة؛ ولم تكن لدي أي رغبة في العودة إلى البيت، لكن مايكل بدا متعباً قليلاً.

- "ماذا سنفعل في البيت؟ ستنشغل بقصائدك وأنا سأشاهد التلفاز... لما لا نذهب إلى مكان آخر؟". قلت بشكوى بعض الشيء، لكنني تراجعته في الحال لأن وجهه البريء كان يشع طفولة بريئة.

لم يشأ أن يجيبي. جاءتني فكرة. لا شيء هام، فقط فكرت أن نتوقف لدى جو. كما كنا، وعليه، في طريقنا مررت وطرقت الباب. فتح لنا مغموراً بالدهشة وطلب منا الدخول. لم يحتج الأمر مني أي تفكير. سعدت الدرج سريعاً. ضحك جو. تبعني مايكل برغبته أو مرغماً. أحضر جو البسكويت والمشروبات، جلس مايكل بينما رحلت أتجول في المكان وأتفحصه. لم يسبق لي زيارة جو في بيته؛ أمسكت بكوبي ورحلت أتجول في المكان الصغير لكنه كان مرتباً. التقت عيناى ذلك الاستريو الشهير الذي استخدمناه -أو، في النهاية، على أي حال، كنا نريد استخدامه- في الحفل.

- "هل أصلحته؟" وجدت فرصة كي أمارحه.

- "آه، نعم، يعمل جيداً الآن. لا أدري ماذا حدث له ذلك ليوم.
وكانه خرب عن عمد حتى يفسد علينا الليلة"، أجاب جو
ضاحكاً.

اقتрحت عليه أن نسمع القليل من الموسيقى - "لماذا نجلس
هكذا ننظر بعضنا إلى بعض؟" وهو ما حدث. بدأت الموسيقى،
علا صوتها وبدأت أهتز بحماقة وأنا أحمل مشروبي. راح كلاهما
ينظران إليّ مبهوتين، لكن بعد قليل تشجع جو وبدأ هو الآخر في
الرقص. لم يتأخر مايكل لينضم إلينا، بالطبع، بعد قليل صرنا
نقفز نحن الثلاثة كالمجانين ونصرخ من السعادة. تبعت الأغنية
الأولى الثانية؛ صار رقصنا مبهرًا أكثر فأكثر، كان جو ينتفض في
الهواء وكل مرة يسقط على الأرض وهو ينفجر في الضحك. كنا
نصرخ كصبيّة صغار من الحماس. استمر هذا الوضع لساعات
حتى أصابنا التعب وسقطنا على الأريكة. كان العرق يتصبب
منا لكننا كنا سعداء. أغلق جو عينيه وراحت ضحكات تفلت منه
بين الحين والآخر؛ وكأنه قد ثمل من رقصه الجنوني. كنا سنقوم
بفقرة أخرى لكن الباب دق. كانت السيدة دينا. ارتسمت على وجه
مايكل تكشيرة يأس.

قال لي هامساً:

- "لقد نسيتها... قلت لها أن تمر علي في المنزل في المساء!".
دعاها جو لتجلس معنا. في البداية تظاهرت أنها غاضبة لكن
بعد قليل كانت كقطة تتمسح ببطن مايكل. ليس هذا فقط، لكن

مستغلة الأجواء الخاملة جلست بعد قليل على رجليه وبدأت تقبله في عنقه. كانت ترتدي فستاناً أحمر، كانت بدينة بعض الشيء وعندما جلست دينا على رجليه تفاجأ مايكل من نظرتنا. انفجرنا في الضحك أنا وجو كالأولاد الساذجين من المنظر. السيدة دينا كانت نشطة، هذا مما لا يدع مجالاً للشك؛ الآن احتضنت مايكل وراحت تقبل شفثيه في شغف، وتدس لسانها في فمه بهوس. لكن مايكل، وبينما كان مرتبكاً في البداية صار يتجاوب معها ومع الأعيبها، راح يمسد ظهرها ويقبلها على عنقها، استمر هذا لوقت طويل حتى مللنا لكن بعد قليل وضع يده في ملابسها وأمسك فحذها بقوة. ثقلت أنفاسهما وعلت أصواتهما في الهواء واكتسبت قبلاتهما صوتاً عالياً، المرأة الناضجة كانت تمتص لسان مايكل بنهم وهي تحل له أزرار قميصه. أنا وجو كنا متفرجين سلبيين حتى تلك اللحظة، لم نفقد لحظة من مشهد انفجارهما غير المتوقع. السيدة دينا قامت لبرهة وهي تتنهد بشهوة لم تتوقف حتى عندما كانت تقف أمامه، خلعت فستانها. راح قلبي يدق بقوة من المنظر. ربما كانت امرأة كبيرة في العمر وبدينة لكن بشرتها ومنحنيات أردافها وأفخاذها الثقيلة كانت مغرية جداً تقود لرغبة قدرة: أن تنهض وتغرس وجهك في مؤخرتها المستديرة العارية. كان مايكل محقاً؛ هذه المرأة كانت شيطانة متحولة... كم كنت ساذجاً ولم أقهم هذا من اللحظة الأولى! هبطت فوقه مرة أخرى. هذه المرة لم يرتاحا مثلما أرادا، وهكذا، وغير عابئين بوجودنا، تمددا على السجادة؛ جسدان عاريان على الأرضية. تمدد مايكل

على ظهره وراحت هي وجلست على وجهه، أتساءل كيف استطاع أن يتنفس من وضعيته هذه. راحت المرأة تصرخ من النشوة... بلعت ريقى من حدة المشهد. أردت أن أهاجم عليها أنا أيضاً وألتهمها؛ بالتأكيد جو كان يشعر بنفس الشيء وهو يشاهد جسد الجارة الشهي. لم أحتمل أكثر من هذا. بينما وجهت أردافها نحونا وهي تقبل مايكل اندفعت وأمسكت بقوة بوسطها العريض ووضعت قضيبى بداخلها بقوة دون أن أستأذن أحداً، بالتأكيد كنت أنكحها كالماكينة بإيقاع ثابت لا يتوقف. التفتت ونظرت إلي بنظرة خاملة شهوانية غاضبة. رددت عليها بابتسامة متهمكة وبعض الدفعات القوية على مؤخرتها اللدنة. عندما انتهيت، أخذ مايكل مكاني. تمددت أنا منهكاً وراضياً على الأرض بجوارهم. بعد قليل انتهى مايكل، فنهضت السيدة دينا بصعوبة واتجهت نحو الحمام. بعد قليل وعندما استيقنا عدنا إلى الأريكة. لحسن الحظ لم يكن ارتباكنا كبيراً كما توقعت. راح مايكل ينظر إلي بفضول غريب. ابتسمت له وتمددت بارتياح ورأسى يتعلق تقريباً على ظهر الأريكة. سيطر على الأجواء هدوء منتشٍ حتى عادت السيدة دينا إلى الصالون.

- "يجب أن أذهب كي أطبخ، لقد تأخر الوقت... سنلتقي مجدداً...". قالت لنا برقة وفي الوقت نفسه بنبرة رسمية ثم غادرت البيت.

اختفى جو في المطبخ. أنا ومايكل بقينا قابعين على الأريكة.

بدا جو غريبًا، كان يشعر بعدم الارتياح من وجودي أنا ومايكل،
راح يسير في البيت ويتمتم. أدركت أنه ربما لم يعجبه أنني أنا
ومايكل كنا مرتاحين في هذه الوضعية على أريكته ولم نتزحزح
وكان شيئًا لم يحدث. لم تعجبني حالته هكذا فأومأت لمايكل أن
نرحل. ودعنا صديقنا ووعدناه أن نكرر الزيارة، لم أره متحمسًا
للفكرة. عندما دخلنا البيت، لم يتغير الوضع. تمددنا مجددًا على
أريكتنا ومددنا أرجلنا على الطاولة.

- "لم يجب أن تفعل هذا بفتاتي"، قال مايكل وألقى إليّ نظرة
متعجبه.

ابتسمت.

- "دعك من الحماقات... سأذهب لأصنع القهوة"، قلت له
وهرعت إلى المطبخ.

كان لدي مزاج للحديث، لكن عندما عدت بصينية القهوة كان
مايكل قد غلبه النوم.

هذيان (I)

لم أعد أهتم لأي شيء، فقط ضربات قلبي، فقط ضربات قلبي، أشعر بالاشمئزاز والخوف، أشعر بالاشمئزاز والخوف، هذا أنا، هذا أنا، ليس هنا آخر، أنتظر شيئاً، لا أعرف ماذا، أنتظر شيئاً، لن يأتي أبداً، لكن أنا سأنتظره، لدي إصرار كبير، لدي كراهية تجاه نفسي، لدي حب خفي نحو قميصي، لا يكفي حتى الليلة الشتوية، لا يكفي حتى حياة واحدة، الناس لا يعرفونني، لم أتعرف قط على سيد أو سيدة، أنا خطأ، خطأ بلا احتمال، من يحتمل الحياة هو ببساطة شخص أحمق، أنا محاط بالحمقى، أنا الألمعي، ضعوا لي درجة جيدة وسوف أرقص طيلة الليل، أعطوني كسرة خبز ساخن فور أن يخرج من الفرن، لا يريد الإنسان شيئاً كي يروض، كل البقية هو محض مسرحية هزلية قبل أن يأكلك الدود، انظروا إليّ كيف أرتعش، أرتعش، كفى هذه الليالي، كفى هذه الليالي، أريد يوتوبيا جميلة، هذا سينقذني، أنا لست وردة كما كنت أعتقد، أنا مستنقع، يا للمصيبة، أنا لست وردة كما أخبروني، أنا مستنقع، كفى وهذه المرايا، هي سبب أننا ننظر لبعضنا، إلى هنا وكفى بالتأكيد، هدئوني وسأفعل ما يجب، طمئنوني، طمئنوني قبل أن يدعسني الجنون واليأس، لا

1- في النص الأصلي هذا الفصل مكتوب بحروف CAPITAL.

أريد الكثير، أنا طفل، لا أريد الكثير، أنا شيطان، أنا طفل وحسب،
أخضعوني، جرحت ورأيت دمي، أنا لست هو، ماذا يحدث هناك في
الداخل؟ ليس لي شيء من كل هذا، أنا أتذكر نفسي بشكل آخر،
أنا وحش بري، أنا وحش بري، لا أتحدث عندما أتكلم، يتحدث
شخص آخر، شخص آخر يتحدث، رأيتم ما قلته لكم؟ مثلما كنا
صغاراً نسمع أصواتنا مسجلة ولا نتعرف عليها، هكذا يحدث الآن،
ليس لدي أي علاقة بهذا الذي يعيش بداخلي، سأقدم طلباً كي
أنزعه مني، طلباً للسلطات المحلية، سأشكو هذا الطفيل، أخرج،
أخرج، أخرج، أخرج، أخرج، أخرج، أخرج، أخرج، أخرج، أخرج،
شيئاً بحكمته الشافية، لا أفهم، اشرحوا لي، اشرحوا لي، اشرحوا
لي.

9

الحرب

ككل يوم ضبطت المنبه عند الثامنة صباحًا. كان صوته دومًا غير محتمل، يثقب أذننا بعنف كمسمار صدئ، لكن في ذلك اليوم كادت طبلة أذني أن تنفجر من حدة صوته الحاد المزعج الذي عكر صفاء نومي. لم يكن بالطبع المنبه. عندما لمست أقدامي الأرض استمرت هذه الضوضاء السمعية المرعبة حتى هرولت كالمجنون نحو الصالون لأرى ماذا يحدث. ارتديت شيئًا على عجل وفتحت الباب. كان الناس يروحون ويجيئون في تجمعات بلا إيقاع وبعصبية وضغط غير سار. لاحظت جو من بينهم من بعيد. أشار لي بالخروج، كما لو كان يرجوني للتعجل. لم أستطع أن أفهم ماذا يحدث. فكرت في أنني ربما ما زلت أحلم. راحت التجمعات تدريجيًا تتحد في مجموعات أكبر ومن هناك تشكلت بوئر جديدة، الكل متعجل وتحركاتهم تتسم بالثقل. سألت رجلًا يمر بجواري. "ألم تعرف الأخبار؟ إنها الحرب!" قال لي واستمر بخطوات سريعة نحو التجمع الذي صار يتخضم. فركت عيني وأعدت النظر للشارع. كانت الأغلبية تهول نحو محطة السكك الحديدية، آخرون يسيرون عكس الاتجاه. من بعيد رأيت بعض السيارات التي توقفت في منتصف الشارع كما لو أرادت أن توقف حركة السير؛ خرج السائقون من السيارات وراحوا يلوحون بأيديهم، لو أنني أرى جيدًا من المسافة البعيدة كانوا يتشاجرون مع بعض المارة. لكن ما الذي يحدث؟ لم أفهم شيئًا... دخلت للبيت مجددًا لأوقظ مايكل، فوجدته مستيقظًا بالفعل ينظر من

- "ما الذي يحدث؟" سألني فور أن رأني.

- "لا أدري... الآن خرجت. إنها الحرب... هذا ما قاله لي.
أتصدق؟".

لم يتحدث مايكل. ارتديت ملابسني بسرعة وخرجنا للشارع. لم أكن أعرف إذا كان هناك أي معنى لأذهب للمكتب، لكنني أردت أن أخاطر لم يكن لدي اختيار آخر. أخذت مايكل معي واتجهنا إلى هناك. كانت الفوضى تتضاعف على كل انحرافات الطريق وعلى كل نواصي الشوارع. بدأت الأبواق من جديد تصيح بأغنيتها، غطى مايكل أذنيه وأمسكت بقميصه وهولنا بسرعة مع كل الناس الذين تصادف وجودهم أمامنا وقتها.

- "إلى أين نحن ذاهبون؟" تساءل مايكل بينما كنا نجري نحو اتجاه غير معلوم.

رفعت كتفي دون أن أستطيع أن أجيبه. لحسن الحظ، عندما انحرفنا نحو الطريق الكبير كان الوضع أكثر هدوءاً؛ علت أصوات أبواق السيارات والصياح، لكن الهلع كان أخف وطأة.

- "يجب أن أمر على الشركة لأرى ماذا يحدث هناك. تعال...".

بدا تائهاً لا يفهم شيئاً مما يحدث. وصلنا إلى الشركة وصعدنا سلم المبنى، رأيت من بعيد لافتة ملصوقة على الزجاج "مغلق

بسبب الحرب". نزلت الدرج في صمت. نظرت إلى مايكل برعب غير محدد يملأ عيني. نظر إليّ بهلع، فقلت له: "ماذا سنفعل، ودون أن أنتظر إجابة أومأت له أن يتبعني. ذهبنا نحو الجموع. كان الأغلبية متعجلين ومن الواضح أنهم يحاولون أن يحتفظوا بهدوئهم لكن دون أي جدوى؛ البعض بدا عليه التيه وكانوا يهرولون كحيوانات مذعورة ثم يتوقفون فجأة ويتحدثون وكأنهم ينتظرون إشارة من بعيد، وهكذا كانوا يهدؤون قليلاً لبضعة ثوان. تسكعنا بلا وجهة لما يقرب من الساعتين لم يكن لدي إحساس بالوقت عندما فجأة تغير كل شيء نحو الأسوأ. سُمع صوت انفجارات رهيبية من الأحياء الجنوبية. لم أسمع صوتاً كهذا من قبل في حياتي. ثم تبع الصوت بريق قوي ترك على أطرافه دخاناً أسود مثل الألعاب النارية ينبئ بتهديد أنه ربما يسقط على رؤوسنا. بدأ الكثيرون في الصراخ وتهديد عدو غير مرئي، ثم سُمع صوت انفجار آخر، وثمة صيحات تأتي من بعيد، ابتلعنا ريقنا من الهلع ونحن نرى أمهات يهرولن بأطفالهن في أحضانهن، وعجائز يبكين من فرط الهلع عاجزين عن ملاحقة الجموع التي بدأت في الركض في يأس وفوضى. ماذا بوسعنا أن نفعل؟ صار هذا الجحيم يتكرر ويزداد سوءاً ويأساً. بدت السماء كما لو كانت فقدت لونها، بدت وكأنها ستسقط فوق رؤوسنا وفي ذلك الحين فقط فهمت من كلام متناثر لشاب كان يهرول بجوارنا أننا نركض نحو المخابئ والملاجئ إذ إنه بعد قليل سوف يلقون القنابل من الطائرات علينا. لم يكن لدي أدنى فكرة أن المدينة بها

مخابئ، لكن لم يكن هذا الوقت المناسب للتفكير في هذا. انقطعت أنفاسي من الركض. ألقى نظرة خاطفة على مايكل وهمست له: "آسف..." أما هو، كأنه لم ينتبه لي، استمر في الركض نحو الاتجاه الذي حددته الجموع. بعد قليل وصلنا إلى المخابئ. كانت على بعد ثلاثة شوارع من المحطة، على طريق مواز في النقطة التي يبدأ فيها الطريق السريع. كاد قلبي أن ينفجر، لم يكن هناك وقت كي أفهم أو أستوعب ما يحدث، لكن عندما وصلت هناك، كانت اللحظة الأولى من الصباح الذي بدت فيه الحقيقة واضحة. هناك إذًا كانت المدينة بأكملها. كل البشر متراكمون يدسون بعضهم بعضًا في فوضى غير مسبوقه. الأطفال تبكي وأمهاتهم يصرخن بهيستيرية ورعب من الوضع الصعب. كل من استطاع أن يجلس على مرتفعات أسمنتية عارية وآخرون اصطفوا واقفين بجوار بعضهم بعضًا. لاحظت وجوهًا أعرفها لكن بدت متغيرة تمامًا، كما لو لونها الظلام بطبقة لا تمحى؛ لم يكن أحد يتكلم بوضوح، كان الكل يتمتم بعصبية، وبقدر ما تحاول التنصت والفهم، لم يكن هناك شيء مفهوم يقال. لكن جاءتني رغبة في الصراخ، أن أصبح حتى أجرح أحبالي الصوتية، أسقط مغشيًا علي من التعب. كنت أشعر بالكثير من الذنب نحو مايكل. نظرته كانت مفعمة بالخوف والتساؤل، لكن لم يكن لدي أي تفسير أقدمه له، كنت عاجزًا متجرّدًا من أي كفاءة لأكون على مستوى الحدث. "لم يكن يجب أن تأتي إلي"، قلت له وأنا أخفض عيني.

في هذه الأثناء صاروا يدفعوننا بطريقة عنيفة بينما كان يتجمع

آخرون ويسعون للدخول للمكان المكتظ عن آخره ولم يكن يتسع لأي نفس آخر. رأيت بجواري وجهاً مألوفاً من الحي.

- "من شن علينا الحرب؟" سألته بسذاجة مراهق.

- "نحن المخطئون. لقد أعطيناهم الفرصة... " قال الرجل وهو يعض شفتيه من الخجل والغضب معاً.

- "من، من؟" قلت مصراً أردت إجابة واضحة بالأخير.

- "الفاشيون، هؤلاء الحيوانات... كنا نظن أنهم ليسوا خطيرين. وهذا ما جنيناه... سنموت كالكلاب".

- "أي خطأ اقترفنا؟ أي خطأ اقترفنا؟" أضفت سؤالاً آخر وأنا أضرب على ظهره تقريباً؛ كنت أريد أجوبة.

- "ماذا فعلنا؟ لم نفعل شيئاً، كنا نعيش كما كنا نعيش. هل أنت غبي لهذه الدرجة؟ ألا تفهم؟" قال لي وهو غاضب على وشك أن يهجم علي.

تركته في حاله. بعد قليل لم نستطع أن نتنفس من الزحام. سُحق مايكل من الضغط والدفع. في ذلك الحين رأيت جو. رأنا من بعيد وكان يحاول الاقتراب منا. وصل إلينا واحتضننا؛ كان يبكي كطفل صغير. لم أستطع أن أراه في هذه الحالة...

راح يكرر: "سنموت، سنموت".

كان الرعب مرتسماً على وجهه وينظر إلي وإلى مايكل كما لو كان ينتظر الخلاص من شفاهنا.

- "هيا، اهدأ، اهدأ"، قلت له في محاولة تهدئته لكن دون جدوى.

كانت دموعه تسيل على خديه وذقنه؛ وانحنى كأنه على وشك الإغماء. حينها سُمع صوت مرعب وانطفأ النور في أعيننا. كل من استطاع أن يتبادل نظرة عميقة مع الآخر ثم سقطنا منهارين على الأرض. الصرخات كانت أشبه بلعبة ساذجة بالمقارنة بهذا الضجيج الذي شق قلوبنا. لقد ألقوا علينا القنابل. في الظلام العميق، اختلط الصراخ بالنواح وانتشرت رائحة الموت بيننا وفي أجساد إخواننا من البشر المساكين. الدقائق الذي استغرقتها إلقاء القنابل بدت لنا دهوراً. في النهاية لم يعد شيء يُرى سوى تعب غير طبيعي، وعندما أدركنا أن الكابوس قد مر، كانت أجسادنا منهكة من هذا المصير غير المتوقع. راحت الأمهات تربت على الأطفال، العشاق يتبادلون الأحضان في هذا المخبأ البائس... من كان يستطيع أن يفسر هذه المصيبة التي حلت على رؤوسنا كاللعنة؟ ظل مايكل طيلة هذه الأثناء مراقباً لكل شيء. لم أستطع أن أقرأ نظرتة؛ كان يقول لي شيئاً. من الواضح أن كل شيء انتهى، والآن تبدأ حياتنا، إنه لا يفهم أي شيء، وإنه قد فهم كل شيء... نظرتة الدامعة غير المفهومة مرت كالسهم في أحشائي وحملتني بالشعور بالذنب والآمال. بعد قليل تجرأنا وخرجنا إلى الشوارع. لم يكن لدينا اختيار آخر. تفرقنا مثل قطيع جامح من

هنا وهناك وكأننا أردنا أن نشم بوضوح رائحة الدمار. سلكنا أنا ومايكل وجو الطريق الرئيس المقابل للنهر. لم أستطع أن أحبس نحبيي. بين كل شارع وآخر كنا نرى جسداً ميتاً وآخر مشوهاً؛ بشر كانوا قبل قليل يعيشون حياة هادئة وعادية وهم الآن مثل عرائس ماريونت مهلهلة ملقاة على الطريق، على الأرصفة وفي الأحذية ومصارف الشوارع. كم كنت أتمنى أن يكون كل هذا من نسيج خيالي، حلماً سيئاً، لكن الحفر الصغيرة في الشوارع والسيارات المحطمة ورائحة الهواء النتنة من الدخان والنيران أظهرت لي بأسوأ طريقة أن الجثث التي حولنا كانت حقيقة وأن العد التنازلي قد بدأ بالفعل.

مضيئنا. نفس الصورة. أعيننا لم تكن تحتل مناظر الرعب؛ الموت يسبح في دمائنا البريئة ويمر كالسم إلى عقلنا الساذج. سلكنا الطريق نحو البيت. يلزم علينا أن ننجو، على الأقل كنا نحاول، فكنا مدينين بهذا لأنفسنا وللضحايا الأبرياء، وهكذا قررنا أن نعود ونللم ما تبقى من حياة بداخلنا. فتحت الباب، كل حركة كانت كأنها محملة بحجرة كبيرة. انهار مايكل على أحد المقاعد وجو على الأريكة. بتلقائية وصلت إلى المطبخ ومر بذهني أن أصنع القهوة. لا أدري لماذا تراجعت. فتح جو التلفاز الذي كان يبث مباراة لكرة القدم في هذا الوقت. أخذت زجاجتي بييرة من البراد، أعطيت واحدة لجو وجلست بجواره. بعد ذلك قلت له أن يرفع الصوت. انجرفت في المشاهدة، كانت المباراة رائعة. الفريق الضيف حصر أصحاب الأرض في نصف ملعبهم،

لم يكن أحد ينتظر أن تسير المباراة هكذا قبل بدايتها. وبخاصة على الأطراف حيث كان الهجوم كاسحًا. في البداية بالكرات العالية لكن فيما بعد بهجوم كاسح مواجه عندما فهم اللاعبون أن دفاعات الخصم ضعيفة في كل جوانبها. كان من المنطقي أن يسجلوا هدفًا، وهو ما حدث قبل نهاية شوط المباراة الأول. لم أر في حياتي مباراة بهذه الروعة. كنا متحمسين، أنا وجو بالطبع؛ لأن مايكل لم يكن يحب كرة القدم. نتيجة الشوط الأول -0 1 وهو ما جعل الحماس يغلب على انتظار الشوط الثاني، حيث إن أصحاب الأرض كانوا على الأوراق هم الفريق الأفضل، بناء عليه رحنا ننتظر كيف سيكون رد فعلهم. ولكي نستمتع بالمباراة أكثر طلبنا بيتزا، بينما أحضرت المزيد من البيرة. الشوط الثاني بدأ هادئًا وبتحفظ شديد. حتى الدقيقة 55، لم يشن أي فريق فرصة حقيقية وهو الأمر الذي أصابنا بالإحباط. لكن من تلك الدقيقة صارت المباراة حربًا حقيقية. صرنا ننتفض من أماكننا بشكل مستمر، كل هجمة كانت تعد بهدف. جاءت البييتزا في الدقيقة 66 في لحظة تنفيذ ركلة حرة خطيرة. فتحت الباب بسرعة فلم أشأ أن تضيع من الفرصة.

- "لقد تأخرت، لقد طلبنا قبل ساعة!" قلت شاكيًا لشاب الديليفري.

حرك الشاب يديه في الهواء.

- "آسف، لكن أنا وحدي في العمل. كل شباب الديليفري

الآخرين قتلوا في هجوم القنابل. لماذا يحدث شيء كهذا في يوم المباراة؟".

ضاعت الركلة الحرة، مرت دون استغلال. لم تكن التسديدة جيدة. أكلنا البيتزا بهوس. لم يقبل مايكل شريحة، ذهب إلى غرفته ونام. كل شيء كان يقول إن النتيجة ستبقى 0-1، في النهاية تعادل أصحاب الأرض بضرية جزاء في الإعادة ظهرت الإعاقاة بالفعل وأن الحكم كان محققاً في إطلاق الصافرة.

قيامه الجدة زاناى

فى الؤوم الذى رحلت فىه الجدة زاناى عن العالم كانت الفاشية تضرب المءىنة. النيران حرقت الأسمنت والزهور وقلوب البشر، واحتاآ الأمر إلى آزان به أطنان من المياه كى تنطفئ هذه العاصفة النيرانىة، كى تهدأ آىاتنا من آءىء. أتذكر بعض المشاحنات التى خلفت وراءها الكآىر من الضحايا قتلوا إثر آراهم ومرضى من أثر القتال الملعون. لكن كان هناك أمل. الجدة زاناى لم تشم الشر. بشكل ما، كانت مباركة ومحظوظة. لفظت أنفاسها الأآىرة على بطانىة زرقاء ناعمة بىنما كانت السماء تحترق بءخان الغازات المنبعثة من القنابل؛ فى مشهد آنونى ملعون عشناه عاجزىن تمامًا. لا أتذكر متى كانت آخر مرة أكلت فىها أو شربت الماء أو فتحت فىها لتقول شىئاً. كانت مستعدة لتقول كل ما ىتسع له عقلها، أن تفعل المستآىل، ىستحق هؤلاء الناس أن ىعشوا ءون أن ىحسبوا تصرفاتهم، المزعآة لكنها حلوة كالسكر. قبل أن تموت قامت وسارت على أطراف أصابعها ءون أن ىنتبه إليها آء كان الآمىع منشغلاً بآجرى الأحداث. ابتلت وساءتها من العرق لكن آسءها بقى رطباً وهاءئاً تحت هذه الظروف المآنونة. فى النهاىة بءت كأنها آنىن: كانت ملفوفة بملاءة آمنة مع تساؤلاتها وشؤون آىاتها

المعلقة. كان موتاً أنيقاً، دون أي مبالغات رخيصة. أغلقت الجدة زاناي عينيها قبل هروب الفاشيين الجبناء المهرجين. تجمع الأقارب ليحزنوا عليها بكل الوقار والهيبة التي تستحقهما. كان تابوتها حزيناً وفي الوقت نفسه يشع طمأنينة. كانت الجدة ممددة بداخله صامته ومتهكمة بحجاب يغطي وجودها الحاسم. في وقت مراسم الجنازة، كانت البلاد تحترق، الأرض حُفرت وبدأت الثورة في البيوت والجروح المفتوحة. الأقارب اقتربوا للوداع الأخير؛ الجدة زاناي، كان نسمة لطيفة تغطي على غيمة السماء الرمادية الشاسعة لقديس الخريف الكاشف للانهار. كيف استطاعت أن تفصل العالم في هذه اللحظة الزمنية؟ كل من كان ينتظر تغيراً كاملاً وحقيقياً تحقق له مراده، فقبل أن ينتهي التابوت إلى مآله الأخير، ظهرت على التابوت بعض الاهتزازات، والحقيقة هي أن الجدة تعلق بالواقع وراحت ترقص في تابوتها. في البداية، عندما قفزت منه أمام عيون الأقارب، بدا كل شيء وكأنه متعلق بحبال لعنة لكن سريعاً ما تحولت الحقيقة الجديدة إلى حقيقة حية مفعمة بالحياة مثل الجدة زاناي التي نهضت واقفة وهي تنفض الزهور من على أكواعها. "هيا بنا، لنذهب إلى البيت، هذه المسرحية الهزلية استغرقت وقتاً طويلاً"، كان هذا أول ما قالته وراح الجميع ينظر إليها بأفواه مفتوحة دون أن يظهر عليهم أي رعب، لحسن الحظ، بدا الأمر طبيعياً وأن الموت ليس مكانها على الإطلاق. "لا تنظروا إلي هكذا، لقد تركت مئات الأعمال في المنتصف"، استمرت الجدة في السير لبضعة

أمتار بعيداً عن الذي كان قبرها قبل قليل. "لدي حياة لأعيشها،
سوف أصبح محامية"، كانت هذه كلماتها الأخيرة قبل أن تترك
المقابر والحقيقة الواضحة في سبتمبر. بعد بضعة أيام هزمت
الفاشية شر هزيمة كما يليق بها؛ بسكين الحرية الساخن ينغرس
في بدنها العفن.

10

رحل

الفترة التالية مرت دون مفاجآت: في الصباح كنت أذهب للعمل، بعد ذلك في البيت مع مايكل، في المساء زيارات السيد مين وجو، ومن وقت لآخر نذهب عند الجسر كي نكسر الرتابة. وبينما لم يحدث أي شيء سيئ في علاقتنا، يمكن للمرء أن يلاحظ أن الأجواء لم تكن مؤثرة بشكل ما. كنت لا أزال أحب مايكل وأحب أن أكون معه. وهو هكذا نوعًا ما يشعر، أعتقد، لكن مسيرتنا لم تعد بنفس الدفء. لنقل الحقيقة، ربما شعرنا بالملل. لم نفهم كيف حدث هذا. تدريجيًا، كل لهفة لما هو قادم وكنا ننتظره بفرحة وشوق تحولت إلى إصدار متوقع من حياتنا، بإيقاع من الكسل والخمول الأبدي. في ظل هذه الظروف، انحدرت حالتنا النفسية دون أن نصل بالطبع إلى مرحلة برود المشاعر؛ الحياة اليومية صارت رتيبة، متوسطة الإيقاع؛ لم يكن أحد منا ينتظر معجزة، كنا فقط نعيش. لم يعد مايكل ينشغل كثيرًا بقصائده، راح يشاهد التلفاز كثيرًا وينام ساعات طويلة ربما بالقدر الذي كان يتخطى حاجتي لمساحتي الشخصية لقد افتقدت إحساسي بالعزلة الاختيارية، أن أكون وحدي وأفكر وأحلم دون الحاجة للعب أي دور أمام أي أحد. كان من الواضح أن هذه القصة ليس لها مستقبل. لم نكن نتحدث، لكنني قرأته على وجه مايكل، وفي نظرات جيراننا أيضًا. لقد أغلقت هذه الدائرة، كما لو كان قد نضب نبعها الذي كنا نستمد منه النشاط والمستقبل. وفي النهاية، عندما مرت بضعة أيام، سيطرت الرتابة على كل حركة؛ لم يعد من السهل أن نتنفس

في نفس البيت. كنت أشعر بالخجل من الفكرة، لكن كنت أتمنى أن أستيقظ ذات صباح ويكون مايكل قد اختفى. أي مثلما حدث. رحل مايكل. رحل بسريرة ودون ضجيج، دون احتداد عاطفي ترك خلفه فقط رسالة وقصائده المفضلة. وجدت كل شيء مرتبًا على الأريكة عندما عدت من العمل.

بكيت قليلاً ثم ذهبت لأصنع القهوة، في هذا اليوم دق جو والسيد مين بابي عدة مرات. لكنني لم أفتح لهم. لم تكن هناك حاجة. كل شيء أخذ طريقه. كانت الليلة صعبة. غياب مايكل كان واضحًا؛ غيابه النهائي. لا أتذكر حياتي بوضوح قبل مجيئة، وإن كان الوقت الذي مكثه معي لم يكن طويلًا. في اليوم التالي أدركت تمامًا أنه رحل للأبد، خرجت في المدينة ورحت أتمشى يمينًا ويسارًا طيلة اليوم. بدأت من شارع المحطة ثم رحلت أقطع الضواحي الشمالية حتى حل الليل، نزلت من شارع جانبي نحو النهر، هناك في نفس المكان الذي قمنا فيه بالنزهة النهرية بالقرب. كان هناك القليل من الناس والمحلات المحيطة خاوية. جلست في أحد المقاهي وطلبت القهوة ماذا كان يمكنني أن أطلب؟ لم تكن لدي رغبة في شيء. لم أكن أشعر بأي سوء. لم أكن حزينًا. لكن بالتأكيد لم أكن سعيدًا. لم أستطع أن أفكر أين يكون مايكل الآن. فلم يكن لهذا أهمية على أي حال. لقد صرت وحيدًا، مثلما يجب أن أكون؛ ومثلما كنت طيلة حياتي. لم يكن لدي أبدًا أي شكوك في هذا حتى ظهر مايكل في حياتي وغير خططي لها. لكن عندما تكون ثمة حياة مرسومة، فمن الصعب أن

تغير مسارها. غاب بضع ساعات وكل شيء تغير فجأة. خطواتي فقدت شكلها. وكذلك سرعة تفكيرتي، حتى إيقاع أنفاسي. كنت كما لو قمت بدورة كبيرة نحو شرنقتي، كما لو كنت انحشرت في قوقعة ذاتي ببهجة غريبة وحزينة، أنسحب إلى دواخلها، وأنسحب؛ كنت قد بدأت فترة الانعزال والوحدة، عدت إلى عالم مألوف من النكران والتوحد الذاتي. هذا كنت أنا. ليس هناك أي شيء مختلف ومرعب، لا شيء مدهش في هذا التطور. على كل، أحببت فكرة أنني ولو لبعض الوقت كان لي صديق حميم. لم نكن نستطيع أن نعيش وحدنا، بقدر ما كنا نريد أن نستمتع تفكنا وحدنا في انعزالنا. نحن نحتاج إلى هؤلاء الأشخاص، حتى نعرف أن هناك حياة أخرى تشهد على وجودنا؛ البشر هم مرايا حياتنا، البشر حاضرون عندما يلتهمنا الحزن، عندما يختفي الزمن تحت خطوات الظلم الثقيلة، والجنون الذي ينصب الأفخاخ على كل نواصي الطرق. رغباتنا كانت دائماً غير مجدية؛ وهذا ليس بسبب حدتها وقوتها، لكن بسبب طبيعتها، إذ كنت أريد أن أغوص في الوحدة، ولكن أعيش أيضاً بين كائنات حية، أردت أن أسمع صوتي فقط، وأيضاً أن أغطس في ضجيجهم. لكن لا يمكنك أن تحصلي على كل شيء يا عزيزتي. لن أعلمك أنا كل شيء، يا ذاتي الحزينة. لم تنجح قط أن تخطو وتسير على خط مستقيم؛ كنت دائماً ما تنحرف بين الفوضى الحمقاء ويأسك الذي كنت تظنه فطنة. كان تعبي يفوق كل حدود المقدرة. أمامي لم يكن هناك أي مستقبل مرئي، كنت وحدي أشرب القهوة وأتنفس وأنا

جالس على الأريكة. لكن لو فكر المرء في هذا الأمر، هو ليس بهذا
السوء. الاكتئاب قتلني. مرة ومرتين وثلاثاً. هذه خسارة كبيرة لأي
شخص. لا أذكر أنني أخطأت، إذا ما استثنينا وظننا أنني اقتصرت
خطأً. دعني أتذكر... كنت هادئاً، لم أظلم أحداً من بني جنسي؛
لم أكرههم ولم أحبهم ولم أحطمهم ولم أتجاهلهم ولم أستوعبهم
ولم أعتنِ بهم ولم أجرحهم ولم أحتضنهم ولم أتوسل إليهم ولم
أفهمهم، ولم أضربهم ولم أعشقهم ولم أضربهم ولم أجاهلهم، ولم
أعشقهم ولم أهيئهم ولم أربهم ولم أهدمهم ولم أستغلهم ولم
أطردهم ولم أدعهم ولم أقتلهم ولم أجبر خاطرهم ولم أحزنهم
ولم أحترمهم ولم أستثنهم ولم ألمسهم ولم أتجنبهم ولم أعرفهم،
لم أعرفهم، لم أعرفهم...

رسالة مايكل

أريد أن أشكرك على القهوة الجيدة التي تصنعها. أنت أخي، وهذا لن يتغير أبداً. استضفتني في بيتك بحب كأنك تحمل جرواً شريداً، كطفل يعير ألعابه لطفل آخر. كنت أعرف إلى أين أذهب عندما طرقت بابك في المرة الأولى. جئت إليك يا أخي، إلى زهرة نقية، إلى راقص مرن. لم أكن أستطيع أن أذهب إلى أي مكان آخر. في حالة مختلفة، كنت سأكون شبحاً. كم هو حزين أننا لن نلتقي ثانية في هذه الحياة، لكن من ناحية أخرى كم هو رائع أننا استطعنا أن نلتقي. أنا ليست لدي أدنى فكرة عن نفسي، وهذه هي النقطة التي نلتقي فيها. لقد قضينا وقتاً ممتعاً بشكل لا يوصف! كل هذه الفترة كان هناك طنين يثقب أذني ثم اختفى تماماً واستطعت أن أسمع وأرى العالم بعيون أخرى. نظفت جسدي من صداً الانهيار، من هدير الأسلحة الشاحب. وحتى في النهاية، حيث كل شيء كان يشي بأن كلاً منا يجب أن يجد طريقه بعيداً عن الآخر، كنت أشعر أنني على ما يرام، بصحة جيدة ونقي كما لو كنت قد أدت ما عليّ لأعيش لمرة مثلما أريد. ماذا أقول لك الآن؟ إن الحياة صعبة وغير مفهومة؛ لقد سمعت هذا كثيراً. أقول لك فقط إننا فعلنا ما نستطيع، فعلنا كل ما في وسعنا ومقدرتنا، وهذا ما يجب علينا أن نفعل، لو قبلنا أن الناس لديهم التزام أمام أنفسهم. أنا مايكل جاكسون وهذا لن يتغير أبداً. كنت أحب هذا

في وقت ما، كنت معلقًا ومنحصرًا في فكرة هويتي. لكن ذات صباح مللت من كل هذا وقررت أن أمحي ماضيي. ربما فعلت نفس الشيء الكثير من الناس؟ مع الأسف، إن ما كنت أفعله في حياتي السابقة كان ناجحًا جدًا، حتى إنني لم أستطع في النهاية أن أقنع أي شخص أنني شاعر، ولهذا تركت القصائد التي كتبتها لك على الأريكة للذكرى بجوار هذه الرسالة التي تقرأها الآن. يمكنك الآن أن تلقي عليها نظرة، ربما أكون قد ألهمت من حياتي في هذا البيت المضياف. الآن حيث أرحل، لا أعرف إلى أين أذهب. وهذا يحمل بين طياته شيئًا شيقًا، لكن على الجانب الآخر ربما يرهقني جسديًا وروحيًا. أنا لا أتدمر، هكذا قررت أن أعيش، لن أتراجع. أريد أن أحصل على كل ما أستطيع من حرية، هذا هو هدفي في حياتي. أنا منغلق في شرنقة، في شرنقة وجودية بائسة وباردة. كلانا بائسون ملعونون ومختلفون بنفس القدر ولكن متشابهون. لن ندع أي شخص يقترب منا وأبدًا لن يوجد شخص يعشق الحياة مثلنا. وهذا هو أكثر مراتب اللعنة رعبًا. ربما سيجب أن أتذكر من وقت لآخر أنني مايكل جاكسون وأن أسعى لمزيد من السعادة في كل ما يجري حولي، لكن ليس من السهل أن يروض المرء الحياة ويفصلها حسب أهوائه وعلى مقاسه، وإن كان وبما أننا نحكي، هذا ما يحاول الإنسان أن يفعله طيلة حياته حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة. أود أن أقول لك في النهاية، إنه يجب عليك أن تفعل شيئًا في حياتك. رتابتك وخمولك لن تكون عقابهما جيدة. اسمع مني فأنا لا أزال وجودًا غير ناضج في فوضى العالم.

مايكل



مرت بضعة أسابيع وذكرى مايكل لا تزال لطيفة دافئة داخلي. ليس سرّاً أن تحترم جودة إنسان عندما لا يكون حاضراً. لم يكن لدي أبداً صديق مثل مايكل. أعرف أنني لا أطلب الكثير. هناك الكثيرون الذين يستمتعون بالصدّاقة بشكل مختلف، يشربون مع أصدقائهم حتى الساعات الأولى من الصباح، تسمع أصواتهم وضحكاتهم العالية ومزاحهم والنكات التي يتبادلونها، حزم من الأصحاب واثقون من رباطهم ومستقرون، أناس عاديون يمتصون رحيق الحياة. نحن لسنا كذلك؛ كنا أطفالاً، موجودين مفعمين بالتساؤلات والخوف من كل ما يحدث حولنا. وكل ما فعلناه فعلناه لأننا كنا مصنوعين من هذه المادة: من مادة هشّة تصنع منها الأجنة؛ حيث إن أي إنسان عاقل لا يرى أننا لم نقطع من حبل سري من رحم مجروح يدمي بينما تعاني امرأة ما لتلفظنا في هذا العالم؛ كان مايكل محقاً. كلما عانينا أن نصنع الحياة على هوانا ومقاسنا، كانت تتخطانا، تتركنا ننام منهكين من تعب ويأس اليوم. وعندما ظننا أننا نجحنا في أن تسدي الحياة لنا معروفاً، انزلقت هي من بين أيدينا كعاهرة رخيصة. لقد عشقنا فرجاً مجروحاً؛ سيوبخنا بدوره ويسخر منا للأبد. أخفقنا كمبتدئين: سقطنا تحت أقدام حياة وعدتنا بالسكر على الشفاه.

صار مايكل رمزاً في قلبي. رثيت رحيله وحننت كثيراً، لكن بعدها بُني أساس من الدفء بداخلي. عندما مر شهر بالفعل، استقبلت مكالمة تليفونية من مدير النشر الذي قابل مايكل. لم يعد هناك شخص في هذا العالم لا يصدق في المعجزات. أخبرني أن دار النشر سوف تنشر مجموعة مايكل الشعرية، حيث إن الجميع تأثروا وتحمسوا من أسلوبه وشعريته وإلهامه. أخبرته أن مايكل لم يعد هنا، لكن وجدنا طريقة لأوقع أنا العقد بدلاً منه، حتى لا تضيع هذه القصائد الجميلة سُدى بالطبع. مللت من بيتي، لم أعد أحتمله. في المساء كنت أدور على مقاهي المدينة، تارة وحدي وتارة أخرى مع جو، استطعت في مرة أو مرتين أن أقنع السيد مين ليأتي معنا. لم يكن لدي أي حاجة أن أتخيل أي مستقبل بأي شكل، وكانت هذه نعمة حقيقية، التخلص من ثقل لا يحتمل. ذات يوم ذهبت إلى متجر الأسطوانات كي أشتري أسطوانات مايكل. كم كان جميلاً على الأغلفة! كان يبدو مطمئناً وحيّاً ومفعماً بالأحلام. وضعنا الأسطوانات في جهاز البيك أب عند جو وسمعنا كل الأسطوانات في ليلة واحدة. كلما مر الوقت كانت حياتنا المشتركة مع مايكل تبدو لنا كأنها حكاية أسطورية، كأنها شيء مما حدث لم يحدث أبداً. تلك الأيام في نهاية الصيف، كنت أنام بشكل أفضل. مر وقت طويل لم أستمتع بنوم طبيعي؛ كان جسدي أقوى وبالتالي كان عقلي يعمل بشكل أفضل. أظهرت اهتماماً كبيراً للشركة وإن كنت لا أزال أشمئز منها على كل حال لم يبد لي العمل هناك في المكتب مقررًا لهذه الدرجة، كان هذا

من الجدير بالذكر. في الفترة الأخيرة كانت قد جاءت إلى هناك فتاة لم تهمني في البداية على الإطلاق، بدأت أعشقها تدريجيًا، وكلما مرت الأيام كان يتولد لدي توتر مبهج أثناء العمل. مع الأسف، لم يكن هناك وقت ولا الأجواء مناسبة كي أتحدث معها، أو أن نبقي وحدنا، وهكذا حاولت أن أفكر في وسيلة ذكية للتقرب منها. ذات يوم كنت في مزاج جيد تجرأت أن أترك شيكولاته على مكتبها. رأتها، فتحت غلافها وأكلتها، لكن لم يبد أنها انشغلت بمن وضعها هناك. في اليوم التالي والثالث تركت كرواسون. استمر هذا لفترة. الأمر لا يصدق، لكنها لم تتساءل قط كيف تأتي هذه الأشياء وتحط على مكتبها، حتى إن وزنها قد زاد مع كل هذه الحلوى فلم تعد تهمني. على كل، كانت هذه هي المرة الأولى التي شعرت فيها بأن هناك حاجة بداخلي لأقيم علاقة مع امرأة وأن يكون لدي رفيقة ربما تشبهني قليلاً ونغوص معاً في التعاسة ونختلف مندهشين من البهجة المفاجئة التي تزورنا في مرات نادرة.

11

النهاية

جاء الخريف يحمل معه بردًا سارًّا ومبهجًا أيقظ بدني. لا أستطيع أن أعرف ماذا حدث لي بالضبط، لكن بدا لي كأن شيئًا لم يعد يهمني مطلقًا. لم تكن فورة عدمية جديدة للأمور، أزمة الهوس النفسي الوجودي المعتادة وانعدام معنى الحياة؛ وإن كنت أريد أن أكون دقيقًا في وصفي، سأقول إنني لم أكن أشعر بالاستياء من شيء، لم تكن المشكلة هناك. شيء آخر لم يكن يسير على ما يرام، وأعتقد أن الأمر بات مقلقًا. كان طبيبي هو الأول والأخير الذي أثق فيه إزاء حالتي.

- "ماذا يحدث بالضبط؟ لا أفهم الكثير مما تصفه".

- "لا أدري يا دكتور... أعتقد أن مشاكلي قد حُلت، هذا رائع؛ أليس كذلك؟ لقد نجحنا. الاكتئاب، ألم الليالي، لا أشعر بشيء من كل هذا... وهنا بالتحديد تكمن المشكلة، لو أنني أستطيع أن أطرح الأمر هكذا. أنا لا أشعر بشيء. لا أشعر بأي شيء...".

- "هل تشير -لو أنني فهمت جيدًا- إلى أنك بشكل ما تعاني من فراغ عاطفي؟".

- "لا، لا، لا يوجد أي فراغ؛ لأنه لا يوجد شيء، لا يمكن حتى أن تكون هناك مساحة للفراغ. كيف أفسر لك... أنت تضع الدواء على جرح ما كي يختفي. لكن أين تضع الدواء إذا لم يكن

- هناك جرح؟ أفهمتني؟ في حالتي لا يوجد جرح ولا دواء".
- "لكنك قلت للتو إن الاكتئاب اختفى. بناء عليه، لدينا أخبار جيدة. كل البقية سنعمل عليها".
- "هل تسمع ما أقوله لك؟ مع الاكتئاب اختفت البقية. لا يوجد شيء، لا أشعر بشيء...".
- "أها! حسناً، الآن أعرف أن هذا الغموض يجذبك. أنت رجل رومانسي وشاعري لو تسمح لي باستخدام هذا التعبير لكن سنقترب من النتيجة المرجوة، سنجد الحل في سلاحك، ومن ثم المشكلة. تحقق الهدف، أنت في حالة جيدة، وهذا أمر يستحق الاحتفال. بحساب بالطبع".
- "يا دكتور، اسمح لي، لكن هذه المرة لم تفهمني. لا أستطيع أن أحتفل؛ لأنني لا أستطيع أن أفعل شيئاً. جئت لأعلن لك هذا بالضبط، أن ذاتي تتبخر".
- "ها، ها، حسناً، أنت تحب أن تكون درامياً، تسرد الأمر بشكل جميل".
- "يبدو هذا لطيفاً لك، حسناً، تمام... ربما لا تستطيع أن تساعدني في هذه المرحلة. ليس الأمر سهلاً؛ أعرف هذا. على كل، إرشاداتك ووصفات عقاقيرك ومساهماتك الكبيرة خلصتني من مرض ثقيل. أشكرك، لكن سيجب هنا أن أودعك".

عدت إلى البيت وجلست على الأريكة. فكرت أن أفتح التلفاز لكنني تراجعته. بدت لي حياتي المستقبلية كبيرة جداً، لدرجة أنني فتحت فمي بلا وعي وحاولت أن ألقى نظرة تخيلية على الزمن القادم. ظهرت أمامي طويلاً بلا شكل محدد وغارق في الغموض. ازداد الوضع صعوبة، فهذا الشعور القوي الثابت بقي ساكناً آمناً لم يتزحزح. لم أشعر بشيء. خلعت ملابسني، ألقيتها بعشوائية على الأرض ووصلت إلى غرفة النوم. استلقيت في الفراش ورحت أنظر للسقف. اختفت كل رغباتي؛ تفككت كل تصوراتي عن العالم المرئي والمخفي. ونفس الشعور بقي ثابتاً كثيفاً. لا شيء، لا شيء، لا شيء بات يمكن تحديده أو وصفه أو تفسيره. لو فكرت فيما يحدث لي بحدة كبيرة، سأقول إنه لو حدث تحت ظروف عادية لكان مرعباً، لكن حتى لم يتحور إلى أي شعور علي أو في. بقيت خاملاً غير مبالٍ محايداً ساكناً غائباً. لم يكن لدي أيضاً أي انطباع أو خطة تجول في عقلي. هذا لا يعني أنه سبب لي الضيق أو الحزن. فعلى كل حال لم أكن في حاجة إلى خطة. ماذا كنت سأفعل بها؟ الشيء الوحيد المؤكد الذي كان لدي كان الرحيل القادم.

أكثر نتيجة مطمئنة، هكذا ومثلما كنت ممداً على الفراش أتأمل المجهول، كان هو أنني لم أعد في حاجة إلى أي شيء، لم أكن في حاجة إلى الطعام ولا النوم ولا شرب الماء ولا قضاء حاجتي

ولا الاستناد إلى جسد بشري ولا الحديث مع صديق ولا التمشية ولا التفكير. حتى إنني لم تكن لدي حاجة للحلم، لم يعد إلزامياً أن أحلم وخاصة هذا الإدراك الأخير يبعك تماماً عن الحياة، فمن دون الحلم يُلغى المستقبل. لا أريد المستقبل، كان هذا واضحاً بداخلي. نعم. المستقبل يبدو فائضاً عن الحاجة. هو محض حقيقة مضللة.

شعرت بالبرد قليلاً. ساء الجو، لكن كنت لا أزال أستمتع بهذه البرودة. كنت أحتمله عارياً على حشيتي المريحة، وفي جسدي غير المريح. في النهاية، لا يتخلص المرء من نفسه بسهولة. في واقع الأمر هو مستحيل. لعنتني ورفضتني وأبعدتني، انعزلت وهربت وحوصرت، لم يتبق شيء لم أجروء عليه، حتى إنني انتحرت، لكن حتى هذا الفعل لم يغير أي شيء على الإطلاق. لكنني لم أعد في حاجة لي، وهذه المزحة لا يمكن أن تستمر كثيراً. رحت أنظر إلى جسدي وأرجلي ووسطي وبطني وصدري. حتى جسدي لم أعد في حاجة إليه. أغلقت عيني كما لو كنت أسمع ضجيجاً داخلياً، أغنية غامضة كانت أشبه بالصلوات، مثل صوت ذاتي من عالم آخر كان على أهبة الاستعداد كي يلتهمني. خيم الضوء الشاحب على الغرفة لكن ليس بالقدر الذي يجعلني أراه بوضوح. نظرتي تركزت على ساقَي اليمنى، من ركبتي إلى أسفل. شعرت أنني عشت مليون عاماً، وحش بقي منه بعض الأنفاس قبل النهاية الأخيرة. أردت أن أتبخر. الامتناع: الإنجاز الأكبر الذي لا ينجح فيه حتى الموت. كنت قريباً جداً هذه المرة. كنت متأكداً أن أحداً

لن يسأل عني ويطلبني، ليس لأنني لم أكن شخصًا مرغوبًا، لكن لأن الناس تختفي من العالم كالريح، مثل موجة بحر، يمحوون من على الخريطة مظلومين ومباركين. طبعًا، يبقى دائمًا أمل ما، احتمال ما، أنه ذات يوم سأظهر على باب أحدهم، مثلما ظهر مايكل على بابي، وهذا الغريب سيتركني أمر أنا أيضًا وأدخل بيته، وأشعر بالسعادة عندما سيفعل هذا، سعادة كبيرة بالقدر الذي يجعلني أحاول تغيير الحياة. وسأندفع نحو رغبة طفولية ساذجة، سأنسحق، سانجب أطفالًا، سأتعب وأستعيد قواي من جديد، سأفك كل الأشياء وأعيد بناءها من البداية. وحينها سأكف عن هذه المطاردة التي نصبها لي هؤلاء الشياطين، وعندما أرى وجهًا صافيًا ينظر إلي بامتنان؛ لأنه فقط عندما تجعل شخصًا آخر سعيدًا حينها تستطيع وتستحق أن تقول إنك مررت أنت أيضًا قليلًا من على هذا الكوكب، فقد سمعت قلبه في ليلة متوحشة يدق بجوار قلبك.